التصنيف النقدي عند الثعالبي
في (يتيمة الدهر)

المنهجية والأبعاد

د . أحمد أنيس الحسون

KimlikYayınları

التصنيف النقدي عند الثعالبي

د . أحمد أنيس الحسون

K

من خلال الوقوف عند مكتبة التراث النقديّ العربيّ سنجدُ أنفسنا محاطين بمفارق عديدة؛ حيث تجذبنا إليها تياراتٌ نقدية مختلفة عندما نتناول دراسة التصانيف الجمّة، فنجد سعةً وشموليّة في الطرح والأسلوبِ. لقد أرادوا أن يحيطوا بجوانب العصرِ كافّة، ويندرُ أن نجدَ كاتباً مُكثراً في تصانيفهِ قد اقتصر عملهُ على منهجٍ نقديّ أو أسلوب دراسيٍّ واحدٍ؛ فقد تطرّقوا إلى أبواب العلمِ والفكر المختلفةِ، وأصبح لزاماً علينا أن ندرسهم بمنطق جغرافيّتهم الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

ISBN: 978-605-67263-8-5

التصنيف النقدي عند الثعالبي في (يتيمة الدّهر)

المنهجيّة والأبعاد

د. أحمد أنيس الحسون

AHMED ALHASSOUN

Et-Tasnîfu'n-Nâkdi ınde's-seâlibî fî (yetimeti'd-dehr) el-menheciyyetu ve'l-eb'âd

العنوان: التصنيف النقدي عند الثعالبي في (يتيمة الدهر)/ المنهجيّة والأبعاد / تأليف: أحمد أنيس الحسون

ISBN : 978-605-67263-8-5 الترقيم الدولي

İç Tasarım ve Yayına Hazırlayan

Cihan ER

Kapak Tasarımı

Erol ATICI

Baskı ve Cilt

Kardeşler Matbaası

Matbaacılar Sit. 7. Blok No: 76

Kocasinan /KAYSERİ

Tel: 0 352 331 61 00 Sertifika No: 24209

Birinci Basım: Mayıs 2017

Köşk Mah. Ahmet El Biruni Cad. No: 8 Melikgazi/KAYSERİ

Tel: 0 352 207 66 66 / 31029 - 0 544 616 00 38

web: www.kimlikyayinevi.com / tez-mer@yandex.com

© T.C. Kültür Bakanlığı Yayıncılık Sertifika No: 28550

Yayın hakları yazara aittir. Yazarın yazılı izni olmadan, hiçbir biçimde ve hiçbir yolla, bu kitabın içeriğinin bir kısmı ya da tümü yeniden üretilemez, çoğaltılamaz ve dağıtılamaz.

دار كيمليك ياينلاري للطباعة – تركيا ١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧م

Kimlik Yayınları

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

كلمة

يلـتهم الوقـت كـلَّ شـئ، يـتم اغتيـال وسـحق شـعوب بأكملهـا ليمسـحوا حضـاراتها وثقافاتهـا، لكنّهـا بسـموِّها هـي مـن سـتبقى حاضرةً في الزمان والمكان، فلا يلتهمها الوقت مهما تمّ تغييبها.

مـن دون أن تكـون " هـي " لـن نكـون " نحـن "؛ اللغـة العربيـة الفصـحى بجمالهـا وإعجازهـا، بمنـاهج التـأليف بلسـانها وبيانهـا.. ستبقى المنبر الجميل الذي قدّم للعالم زرعاً لايبور ولا يزال.

تقديم

يحتمل النقد في حياتنا وجوهاً متفاوتة تتغيّر مع تغيّر ظروف الحياة، فالحياة هي النص الكبير الملئ بالمفردات ذات الإيحاء الأكبر لتدفعنا إلى امتلاك القلم، والإحساس بوجود ثقافيّ يحتاج دائماً إلى التفكّر والتأمل.

يحاول النقد أن يدّعي الحياديّة، وهذه مسألة بحدّ ذاتها إشكاليّة، فقد لايستطيع المرء أن يكون حياديّاً مهما حاول، وإن لاحياديّته لا تُعاب عليه، فقد تخرج بقالب مقنع، وتبقى اللاحياديّة شيئاً داخليّاً قد يتجلّى بخيوط رفيعة تكاد لا تُرى مالم يصرّح الكاتب عنها. أنا من المعجبين بالتفكير النقدي، وبالنشاط الفكري الذي يمتلكه الكاتب، وعلى الرغم من أن الكاتب ناقد لنصّه بوصفي أكتب الشعر إلا أن الانشغال بالنقد له رؤية مختلفة قد تفتح للشاعر أو للكاتب الأدبي بشكل عام آفاق اللامرئي، أو تدفعه إلى فضاء أرحب يضيف نصّاً آخر إلى ما كتبه الأديب. عندما عملت موجّهاً للغة العربية وعضواً في لجان تأليف المناهج في سوريا كنت أواجه جداراً من التأملّ أشعر معه بحاجتي لنصّ نقدي، أو رأي نقديّ يفتح لي آفاق ماوراء المادة ، كنت لا أتوانى في السؤال عن بعض القضايا، ونظراً للصلة الأخويّة والأدبية مع الكاتب كنت أتوجّه إليه بالسؤال لمعرفتي المسبقة بنشاطه

الفكري، وبتساؤلاته العديدة حيال النصوص، إذ يطرح أسئلته في متون نقديّة، وكان دائماً من دعاة التفكير النقدي، تفكير نقّاد لمعالجة حتى أبسط ما نواجهه، سيما أننا نعيش في ظروف أعيت السائل، وحيّرت المتأمّل؛ ظروف أصبح فيها اتخاذ الموقف الفكري والنقدي مشقّة. لقد أدخلَنا الواقع في متاهات تُشعرنا بعض الوقت باليأس والكسل عن تناول القلم، فتختلط الأشياء في الذهن لتصبح قلقاً فكريّاً سينتج نصّاً ما يعبّر عن هذا التشابك الوجوديّ القائم، أو نتيجة لمقاومة هذا التشابك، وعلى الرغم من كلّ الظروف التي بدأت تهدّد وجود الإنسان، وتهدّد ثقافته وحضارته كما هو الحال في سوريا الآن، إلا أن النهوض يبقى الأجدى والأمثل. إن المسافات البعيدة التي فصلت الأرواح عن بعضها أدخلتنا في واقع أكثر مرارة، ونظراً لصعوبة التواصل ما استطعت الاطلاع كاملاً على إنتاجه النقديّ فيما خلا من سنوات، وقد أفرد دراسات عديدة كنت من المعجبين بها، وكنت قد اطّلعت له سابقاً على دراسة منشورة تخصّ الثعالبي، والآن يعيد تقديمها في كتاب، وكان الشعور الأخوي هو الحالة الأولى قبل أيّ رأي لي في البحث، فجاء التقديم أطول من المعهود ربّما، لكن الحالة هنا مختلفة، فنحن محكومون بظروف يكاد يكون مجملها متعلّق فيما لم يُقل، وإذ بنا نغرق في التوسّع، فنصيب أو لعلّنا نريد ذلك.

هذه التجلّيات النقديّة تمظهرت في هذا الكتاب وقد تركه على سجيّته الأولى مذ كتبه قبل سنوات، وأراد له أن يخرج كتاباً على نفس الآليّة التي بدأها سواء امتلك بعض الإضافات أو لا، إمعاناً منه بمعاينة مراحله حسب معطيات التاريخ المعرفي المتكوّن لأي شخص من خلال تراكمات قد تكون شهوراً أو سنوات، تختلف وتتغيّر في كل مرحلة عن الأخرى، فالناقد كما الشاعر والأديب يعيد قراءة نصّه كأي متلقٍّ آخر، فتنتج علاقة جديدة بين النص والمتلقي والكاتب، فتنشأ إضافات هي نصّ جديد. أرجو أن يكون الكاتب قد قدّم شيئاًجديداً ليبقى وثيقة أدبيّة تفتح باباً للانخراط في الإضافة على الإضافة، فيستمرّ الدرس الأدبي ونبض الحياة يسري فيه.

الشاعر مصطفى أنيس الحسون

المقدمة

من خلال الوقوف عند المكتبة التراثية العربية النقديّة يجد المرء نفسه على مفارق عدّة؛ إذ تتجاذبه تيارات نقدية مختلفة عندما يتناول هذا الكتاب أو ذاك، وهذا إن دلّ على شئ فهو يدلّ على الشموليّة التي تطرّق إليها الأوائل، فقلّما نجد كاتباً اعتمد على منهج دراسي واحدٍ؛ إذ الغالب أنهم متعددوا المناهج وقد تطرّقوا لضروب العلم والفكر المختلفة. من الطبيعي أن ثمة تفاوت في تناول الموضوعات، لكن هذا التفاوت يجتمع في حلقة واحدة تصبّ في صفة ملازمة للكاتب، وإن تفاوتها سيبدو منه رجحان أسلوب على آخر، أو منهج على آخر، فتطفو في النهاية سمة الكاتب، وميوله، وأهم تفاصيل منهجيّته، ومن خلال هذه الشموليّة في التأليف يصبح لزاماً علينا أن نقرأهم ضمن جغرافيّتهم الثقافية والسياسية والاجتماعيّة، جغرافيّة تاريخيّة تستجمع ملامح الزمن ومفرداته، وإن المكتبة العربية النقدية القديمة مدرسة قائمة بحد ذاتها من حيث الإرهاصات الأولى للدرس النقدي والأدبي، وقد فقدت هذه المكتبة

العربية عدداً من المخطوطات، وبعضها الآخر حبيس أو قيد التحقيق. لقد نشأت دراسات عديدة أمدّت الدارس الأدبي بمصادر تراثية ذاخرة، قابلة للدراسة والإضافة والتحليل مع تقلّب وتغيّر الأزمان، ولعل انفتاح هذه الكتب على رؤى نقدية عديدة هو ما يجعلها نصوصاً خالدة تنضح منها الأجيال سُقياً وريّاً.

كنت قد تناولت سابقاً مواضيع تتصل بالنقد الأدبي العربي القديم، وكان الثعالبي من النقّاد الذين لفتوا انتباهي، فوجدت قد ذُكر له أكثر من مئة كتاب في صنوف المعارف المختلفة، توزّعت بين مخطوط ومطبوع ومفقود، وبعضها كما اتضح نُسبت إليه عن طريق الخلط والتوهم. إن هذا العدد الهائل من المصنّفات ليس بالأمر العادي، فهي (المؤلفات) وإن اتسمت بقِصرها إلا أنها منارة يطلّ منها المؤلف على سعة وامتلاء، فمن اللغة والأدب والتاريخ والفكر والدين والشعر والنثر إلى البلاغة والظرافة .. وإن من بين أشهر ما قدّمه الثعالبي هو كتابه " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر "، ويُعد حقيقة منبعاً ثريّاً، ومصدراً أدبياً لما احتواه من

تصنيف وتأريخ لأهل الشعر والأدب، إذ يعكس حياة ذاك العهد، ومناهج التصنيف والتأليف فيه. لعلّ الوقوف عند إنتاجات النقد الأدبي القديم ستجذبنا إلى تيارات عديدة، وإن الأمر متعلّق بتطرّقهم لجميع أنواع وضروب المعرفة، الأمر الذي يلزمنا بأن نقرأهم ضمن جغرافيّة عصرهم الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، وهذا ما أردنا أن نلتزم به من خلال التماس تبريرات نقدية حول ما عيب على الثعالبي، فقد أراد أن يؤرّخ لحقبته الزمنية متوقّفاً كثيراً عند أهمّ القضايا النقديّة، ولايخلو من تذوّق شخصيّ- عرضه المؤلّف معلناً تحيّزه لهذا الضرب الفنيّ من الأدب دون غيره. ولا بدّ للدارس الأدبي الحصيف من الرجوع لهذا الكتاب باعتباره ثروة أدبية يعبّ منها الدارسون والمطّلعون، وقد درج على منواله عدّة مؤلفين، يصنّفون أدباء الأزمنة، فنهلوا منه ما استجمع، وتتلمذوا على ما أبدع، وكان منهم الباخرزي في" دمية العصر"، وقد تتلمذ عليه ونهج منهجه في التصنيف، فعُدّ بذلك مدرسة ذات أبعاد.

لمّا سنحت الفرصة لأن أجمع دراستي في كتاب اتجهت إلى منحىً جديد أردت من خلاله عرض أهم ما أجمع عليه أهل المديح، وأهل التقريح، فحاولت الدراسة في هذا المنحى أن تقدّم رأياً جديداً لتعزّز – نقدياً – ما وصلت إليه بالاستناد إلى الثعالبي من حيث الغاية والمقصدية التي توخّاهما، وبإرفاق عمله الضخم الثريّ إلى خزينته اللغوية والأدبية التي يستحقها.

ستنقسم مفردات هذه الدراسة هنا إلى فصلين، الأول منها توطئة حول الثعالبي وحياته وأهمّ مخطوطاته، ثم تتناول كتابه " يتيمة الدهر " وتقسيماته، ومن ثمّ " تتمة اليتيمة "، لتنتقل الدراسة إلى الفصل الثاني لتتناول منهجيّة الثعالبي في اليتيمة من حيث الغرض والمراحل والمنهجيّة النقديّة، ثم أهمّ الرؤى النقديّة حوله، وأهميّته النقدية فيما قدّم في كتابه، لتخلص الدراسة إلى الخاتمة.

إن الغرض من هذه الدراسة هو محاولة في التنويه لمكانة أبي منصور الثعالبي الفكرية والأدبية، وأهمية كتابه " اليتيمة "كونه مدعاة للجدل

النقدي، بالإضافة إلى كونه مادة تستدعي الالتفات إلى منهجيّتها النقدية، وهو كذلك مادة تستدعي الالتفات إلى الأهمية الأدبية والثقافية، وتكمن الأهميّة في استقصاء المنهجيّة التوثيقيّة الملازمة للأهميّة الأدبية، ونظراً لتعدّد الأهداف والفوائد العلميّة لهذا الكتاب؛ فقد ارتأت هذه القراءة النقدية تقدّيم وثيقة تتناول ما تمّ الإشارة إليه لتبقى في متناول اليد.

الفصل الأول

أبو منصور الثعالبي (حياته – مؤلفاته)

مؤلفات الثعالبي المطبوعة والمخطوطة

أشهر مؤلَفاته المطبوعة

كتاب "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر"

أقسام وأبواب الكتاب

تتمة اليتيمة

توطئة

لقد خطا النقد خطوات مهمة عبر عدّة أطوار، تباينت تلك الأطوار بين مرحلة وأخرى، وكان للحياة الثقافيّة والأدبية أثرها الواضح بمستجدّات الدرس النقدي التصنيفي، والدرس التدويني، ولا يمكننا أن نختزل مرحلة تطوّر النقد الأدبي مع مطالع القرن الرابع الهجري، فالعمليّة مرّت بأشواط منذ ماقبل الإسلام عندما كانت التصوّرات النقديّة الأوليّة حسب بعض الروايات عن بوادر نقديّة تنمّ على الذوق الأدبي والاستساغة الفنيّة في تلك الحقبة [1]، فوجود الأدب في تلك الحقبة وهو على هذه الدرجة من

[1] ومن أبرز مظاهر النقد الجاهلي ما كان يجري في سوق عكاظ المشهورة ، فيجتمع الخطباء والدعاة والشعراء يعرضون بضاعتهم الثقافيّة إضافة لكون السوق المشهور من أكبر وأهمّ الأسواق التجارية في الجزيرة العربية، وكانت في آن واحد بيئة للنقد الأدبي يلتقي فيها الشعراء كل عام ليتنافسوا ويعرضوا ما جادت به القرائح، وقد ورد في كتب الأخبار أن النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة حمراء ، من جلد في ناحية من السوق فيأتيه الشعراء ليحكم بينهم (يُنظر : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١١ / ٦) والموشح للمرزباني، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ص ٧٦. وكذلك ماورد من المحاكمات النقديّة كقصة أم جندب زوجة امرئ القيس مع علقمة بن عبدة الفحل الذي لُقّب بالفحل لأن أم جندب حكمت له بأن وصفه للحصان أجود من وصف زوجها، فغضب ارؤ القيس وطلّقها فحلف عليها علقمة ليُسمّى بعد ذلك بالفحل (يُنظر : الموشّح للمرزباني ص ٢٦ – ٢٧، و دراسات في النقد الأدبي العربي، د. بدوي طبانة، مطبعة

السموّ لا يقبل الشك مطلقاً بوجود نقد أدبي على خلاف من رأى المسألة من زاوية أخرى تقلّل من قيمة وجود النقد الأدبي في العصر الجاهلي، وهذا مناف للواقع والتاريخ والمنطق الفنّي، فوجود الأدب يستدعي وجود نقد ما أي كان شكل أو آلية هذا النقد، والإنسان المستسيغ للأدب هو متذوّق له، والتذوّق له أسباب ومحرّضات وهي مرحلة من مراحل التذوّق النقدي، وإبداء الحكم. إنّ قراءة الشعر وسماعه تقتضي الحكم عليه، فكيف في عصر اشتهروا به بتذوّق الأدب، والتفاخر به؟، وخاصة إذا كان ذلك من عارف بالشعر كالشاعر نفسِه أو راويتِه وما أكثرهم في عصر الجاهلية[1]. بل إن دراسة النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري لابدّ وأن تستوعب المراحل السابقة بوصفها مراحل تأسيس على درجة كبيرة من الأهميّة كما يشير إلى ذلك الدكتور أحمد مطلوب بقوله: "

الأنجلو المصريّة [بدون تاريخ] ص ٥٣. وغيرها من قصص تشير إلى أحكام نقديّة ومماحكات وجدالات تناقش ضروب الشعر والأوصاف والوسيقى الشعرية كقصة النابغة عندما أخلّ بالموسيقى من خلال الإقواء (اختلاف حركة الرويّ عن الرويّ الأصلي للقصيدة)، وكيف عابوا عليه ذلك

[1] للاستزادة: مقدمة في النقد الأدبي، علي جواد الطاهر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، سبتمبر ١٩٧٩م، ص ٣٥١.

إن أهمّ الاتجاهات النقديّة في هذا القرن أربعة، ولكن دراستها من غير العودة إلى القرون السابقة لاتكون واضحة بيّنة لأنها لم تكن إلا مرحلة من مراحل تطوّر النقد الذي بدأ ملاحظات بيانيّة وآراءً عامة، ثم مرّ بعدّة مراحل حتى وصل إلى صورته المشرقة في القرن الرابع "[1]. لقد تناول الدكتور أحمد يوسف خليفة في كتابه (تطور النقد الأدبي ومحاوره حتى نهاية القرن الرابع الهجري) إرهاصات ومسبّبات هذه الأطوار، ورتّب الحركة النقدية من خلال طرق الموضوعات التي عنت النقّاد حينذاك، وبيّن هذا الانتقال المهم من ساحة ضيّقة (النقد في العصور الثلاثة : الجاهلي – صدر الإسلام – الأموي) إلى ساحات أوسع نما معها التفكير النقدي وقطع أشواطاً مع مطالع القرن الثاني الهجري عبر مراحل[2]. لقد تطوّرت المراحل النقديّة حتى نهاية العصر الأموي وبداية العصر

[1] اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، توزيع دار العلم للملايين - بيروت، ص٧.

[2] تطور النقد الأدبي ومراحله حتى نهاية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الأستاذ الدكتور أحمد يوسف خليفة، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، يُنظر: ص ٥.

العباسي، حيث اتجهت الحياة الأدبية اتجاهات جديدة تناغمت مع التغيّرات السياسيّة والثقافيّة في ذاك الوقت، ولعل الطور الأكثر شيوعاً من مراحل التطوّر النقدي قد انتهج طريقة التصنيف في طبقات، وكثر في هذا الجانب إطلاق الأحكام النقدية، وشاب بعضها الحكم الانطباعي، والرأي الشخصي تعصّباً أو محاولة في الاعتدال لم تتملّص نهائيّاً من التحيّز لهذا الشاعر دون غيره، ولكن هذه التقديمات لشاعر على آخر استندت إلى أسس مختلفة، تعود للشهرة أو للقِدم أو الجودة، وهي لفتات تستدعي الوقوف لفهم هذه المنهجيّة، والذائقة النقديّة في التقديم والتفضيل.

لقد تنوّعت المصنّفات النقديّة في القرن الرابع، وتوزّعت مستشربةً العلوم والمعارف المختلفة، فقد بلغت المرحلة الزمنيّة شوطاً مهمّاً من التطوّر الثقافي والمعرفي، ونشطت حركة الترجمة والتمازج، وكثرت التآليف، وكان أهم المصنّفات تلك المهتمّة " بالنقد والبديع، والنقد الإعجاز، والنقد وأبو تمام، والنقد والمتنبي. أمّا الاتجاه المتأثّر بالثقافة اليونانيّة فقد كان من

أضعف التيارات ظهوراً في مجال التطبيق.."[1]. انشغل المؤلّفون باللغة والأدب وجمع الأشعار، وإن اهتمامهم باللغة وبلاغتها، والتصنيف لجمعها ودراستها، وجمع الشواهد الشعريّة وشرحها .. كل هذا من جهد اللغويين والنحاة كان سبباً في إلقاء الضوء على التذوّق النقدي، وإبداء الملاحظات والحكام، وما تخلّل ذلك من قصص وروايات، وإن تعصّب علماء اللغة لها ولقواعدها نحواً وصرفاً جعلهم ينتقدون الشعر، وينظرون إليه من زاوية لغويّة نحويّة، فكانوا لايتساهلون في هذا الجانب، لقد تتبعوا الأخطاء ، واستنبطوا القواعد، ونظروا في مطابقتها أو الشذوذ عنها، وعن الأعاريض والتصاريف، ونكاد نجزم أنهم لم يلتفتوا إلى جماله الفني بقدر التفاتهم إلى مخالفته أو مطابقته للأصول، فاتسم نقدهم بالمعياريّة، وهذا ما يُسمّى بالنقد اللغوي، إذ الحكم والفيصل هو معياريّ صارم لامجال فيه للأهواء من حيث الاستعذاب أو الاستقباح، وإن هذه التعقيبات من اللغويين والنحاة ذات أثر بالغ على تطوّر النقد الأدبي، والدفع بعملية البحث

[1] اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، ص ٦.

والتقصّي بشكل أكبر بحثاً عن جوانب أخرى غير تلك اللغويّة منها، وهذا الجهد اللغوي للنحاة يراه محمد خفاجي لبنة مهمّة في تطوّر الحركة النقديّة وازدهارها، بفضل هذه الجهود بالتناسب مع ماوصل إليه العرب من نضج أدبي وثقافي كبير[1]. ومن هذا التوجّه نشأت الملاحظات النقديّة، والإضافات والتعقيبات، فكانت حلقة مهمّة في دفع العمليّة النقديّة، وفي التحفيز على جمع الأشعار وتصنيفها والتعقيب على محاسنها أو مساوئها، فراينا الطبقات التي اعتنت بالشعر والشعراء، وتخلّلها النقد والأحكام، ورأينا الجدالات النقديّة حول أبي تمام وتجديده الشعري، وحول إكبار البحتري وطبعه وفطرته الشعرية، ورأينا الخصومات حول المتنبي، ولعلّ قضية السرقات الأدبيّة كانت محطّ جدال نقديّ. لقد ساهم اللغويون والنحاة في تطوّر النقد الأدبي، وعدّ الدكتور أحمد مطلوب هذه المرحلة بأنها " النشأة " إلى أن أطلّ القرن الثاني الهجري حيث بدأ التدوين وبدأت الانطلاقة الحقيقية، فكان القرن الثالث وكان معه " ابن سلام

[1] النقد الأدبي في العصر العباسي، محمد خفاجي، دار الوفاء – الإسكندرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م، ص ١٠٣.

والجاحظ وابن قتيبة وابن المعتّز أعلاماً للنقد في القرن الثالث، وفي ضوء كتبهم وآرائهم وأحكامهم سار اللاحقون فكان النقد العلمي الأصيل المعتمد على الذوق السليم"[1]. لقد أطلّ القرن الرابع الهجري، وشهد قفزة فكريّة كبيرة، وتعدّدت مراكز العلم وال>ب، فقصدها الكتّاب ساعين عن المعرفة، ونشطت حركة التالأيف والتصنيف، وتوسّعت الآفاق الأدبيّة، وكثرت الموضوعات تناغماً مع ماوصلت إليه الحياة حينذاك، فكانت بغداد عاصمة الخلافة العباسية، والثفافة العربيّة، وكانت البصرة والكوفة، وانتقلت مراكز الثقافة إلى مدن وعواصم أصبحت تحت الحكم العباسي، فشهد العصر مؤلّفين ذاعت شهرتهم في الآفاق، فكان من نوابغ ذلك العصر أبو منصور الثعالبي و " يُعدّ في طليعة قرون الخصب والسعة في تاريخ هذه الأمة في ميادين العلم ومجالات التفكير "[2].

[1] اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، ص ٧.

[2] الصاحب بن عباد الوزير الأديب العالم، د. بدوي طبانة، المؤسسة المصريّة العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م، ص ٦.

أبو منصور الثعالبي (حياته – مؤلّفاته)

(عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي ٣٥٠ - ت٤٢٩هـ-١٠٣٨م)

هو أبو منصور عبد الملِك بن مُحمَّد بن إسماعيل الثَّعالبيّ. وُلِدَ في نيسابور سنة ٣٥٠ هـ. وهي يومئذ مدينة من أشهر المدن التي احتضنت العلم والثقافة. يُعدّ الثعالبي علماً من أعلام القرنين الرابع والخامس الهجريين، " ..كان أول حياته فراءً، يخيط ثلوج الثعالب فنُسب إلى صناعته، ومن ثم انتقل من حوك الفراء إلى حوك الكلم .."[1]، ولقّب بالثعالبي لأن أسرته امتهنت خياطة جلود الثعالب، وكان من الطبيعي أن يرث إرث أسرته المهني، ومن الملاحظ أن أكثر علماء تلك الأزمان كانوا يلقبون باسم مهنتهم كـ (الكسائي- الفراء -الوراق..).

---

[1] يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تأليف أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص ٣ مقدمة المحقق. ويُنظر: الأعلام (للزركلي) ٤/ ١٦٣ . البداية و النهاية (لابن كثير) ٤٤/١٢، وفيات الأعيان (لابن خلكان) ٣/ ١٧٨ العِبَر في أخبار من غَبَر (للذهبي) ١٧٢/٣ زهر الآداب (للحصري) ١٢٧/١ الذخيرة (لابن بسام) ٥٦٠/٤ تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) ١٨٥/٥ نزهة الألباء (للأنباري) ٢٦٦ دمية القصر (للباخرزي) ٢٢٨/٢.

لم تتحدث التراجم عن تفاصيل حياته، لكنها تروي نتفاً عنها، منها أنه نشأ في أسرة فقيرة تشتغل بخياطة جلود الثعالب وصنع الثياب من فرائها، فنسب إلى تلك الحرفة التي مارسها في بدء حياته واتخذها مورداً لرزقه، ومنها أنه درس في صباه في كتّاب، فلما أتمّ تعليمه نشأت في نفسه رغبة عارمة في طلب العلم، فعكف على كتب العلم والمعارف يغرف منها، وتتلمذ لأبي بكر الخوارزمي، وانصرف عن مهنته الأولى وعمل مؤدباً للصبيان، واشتغل باللغة والأدب والتاريخ، فنبغ واشتهر حتى وصف بأنه جاحظ نيسابور[1]. وحاول المحدثون كشف جوانب حياته الغامضة معتمدين على اجتهاداتهم، وافتراضاتهم، مما أوقعهم في أوهام كثيرة [2]، وذلك حسب رأي محمود الجادر. اختلف الدارسون في تحديد أصله، فمنهم من

[1] نيسابور نسبة إلى مدينة نيسابور، بالفراسية: نيشابور، تقع في خراسان شرق إيران، اشتهرت في العصر العباسي بالثقافة والتجارة قبل أن يدّمرها زلزال ضربها سنة ٥٤٠ هـ.

[2] لقد بذل محمود الجادر جهداً يعترف له به في تصحيحها ومحاولة استجلاء مراحل حياة الثعالبي من خلال مؤلفاته المطبوعة= والمخطوطة، ينظر الثعالبي ناقداً وأديباً، دار النضال – بيروت ١٩٩١م. ص ٣٧٥.

ذهب إلى أنّه من أصل فارسي[1]، ومنهم من قال بأنه من أصل عربي[2]، وإذا نحن حاولنا تقصي الحقيقة من خلال إنتاج الرجل، وجدناه عند حديثه عن الفرس، أو الأعاجم عموماً، يذكرهم بضمير الغائب[3]، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك، حين يبدي إعجابه بأبي نصر بن حماد الجوهري الذي كان من أصل تركي. لقد كان الثعالبي من أئمة اللغة، وكان يؤثر الترحال على الإقامة بالوطن، فيسعى لتحصيل العلوم العربية، وبهذا يُستبعد أن يكون الثعالبي من أصل فارسي[4].

اتّجه الثعالبي إلى طلب العلم والانكباب على الدرس، والتبحر في العلوم والمعارف، يسفعه في ذلك نشاطٌ فريد من نوعه وذاكرة قويّة بعقل وقّاد، فاختلط بأهل العلم والأدب من رجالات عصره، حتى غدا اسمه يطفح بالآفاق، ويبرز اسمه علماً بين علماء عصره، وكان إقبال الثعالبي على العلم

---

[1] تيارات ثقافية بين العرب والفرس، أحمد الحوفي، مطبعة نهضة مصر- القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، ص ٢٩٩.

[2] كنوز الأجداد، محمد كرد علي، مطبعة الترقي – دمشق، ١٩٥٠ م – ١٣٧٠ هـ، ص ٢٣٣.

[3] يتيمة الدهر، ص ٣٤٩ – ٣٥٠.

[4] الثعالبي ناقداً وأديباً، محمود عبد الله الجادر، دار النضال – بيروت ١٩٩١م، ٢٠ – ٢١.

وحبّه للقراءة سبباً في إقامة علاقة وطيدة مع الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي (ت ٤٣٦هـ)، وأبي نصر سهل بن المرزبان (ت٤٢٠هـ)، وعن طريق هذين الرجلين عرف عدداً كبيراً من أدباء نيسابور ومن أتى إليها من شتى البلاد، وارتقت منزلته عند خاصة القوم وعامتهم، وأتاح له أبو الفضل الميكالي ولوج مكتبته العامرة فنهل من كتبها وعبّ ما شاء، واطّلع فيها على مصادر العلم والمعرفة مما لم يتح لكثير غيره من الأدباء والمصنّفين. وفي سنة ٣٨٢هـ غادر نيسابور إلى بخارى[1] طلباً للمال، ولكن أمله خاب فيها، فعاد إلى نيسابور ليتفرغ للتصنيف والتأليف، وقد بدأ آنذاك تصنيف أضخم كتبه وأشهرها " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر". وقد أُعجب بالثعالبي كثير من الأدباء المعاصرين له، وأقام معهم صلات وثيقة كبديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨هـ)، وأبي الفتح علي بن محمد البستي(ت ٤٠٠هـ)، وأبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي (ت ٤٢٧هـ) الذي دفع الثعالبي إلى زيارة الأمير شمس المعالي

[1] بخارى: تقع في أوزبكستان، نالت حظها من الشهرة بالتجارة والثقافة وعلوم الدين كونها تقع على طريق الحرير.

قابوس في جرجان[1]، فكانت سفرة موفقة، أهدى فيها الثعالبي إلى الأمير كتابه " المبهج "، ومدحه ببعض القصائد، وعاد إلى نيسابور مُحمَّلاً بالعطايا، وهناك تفرغ ثانية لتأليف بعض الكتب التي أهدى عدداً منها إلى أمير نيسابور أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين، وبعض أعيان المدينة. وعندما حلّ القحط بالمدينة عام ٤٠١هـ رحل إلى " أسفرايين "[2]، ومنها إلى جرجان، ثم إلى الجرجانية تلبية لدعوة الأمير أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه، وأهداه أحد كتبه [3]. رحل من الجرجانية إلى غزنة[4]، ولكنه لم يلق ترحيباً في بلاط السلطان محمد الغزنوي، ومع ذلك لبث في المدينة سبع سنوات، وأخيراً عاد إلى نيسابور ليصنف

---

[1] جرجان: بالفارسية كَرَكَان، سُميت قديماً ب أستراباذ، تقع شمال إيران، ذكرها السيوطي في تاريخ الخلفاء، وأن المسلمين سيطروا عليها زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك.

[2] إسفرايين: تقع في خراسان بإيران، ذكرها الشريف الإدريسي ت ٥٦٠ هـ، في نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.

[3] الثعالبي ناقداً وأديباً، ص ٣٤ – ٣٥.

[4] غزنة: تقع في أفغانستان جنوب العاصمة كابول، كانت عاصمة الغزنويين ومركزاً والآداب في العالم الإسلامي.

ويؤلف ويهدي الكتب إلى أبي الفضل الميكالي وبعض أعيان الدولة، ويؤلف ذيلاً لليتيمة، وبقي في نيسابور حتى وافته المنية [1].

لقد أقرّ البلغاء واللغويون أن الثعالبي واحدٌ من أساطين العلم والمعرفة، فقد لقبّه تلميذه الباخرزي بـ " جاحظ نيسابور، وزبدة الأحقاب والدهور .." [2]، وقال عنه الحصري: " فريد دهره وقريع عصره ... وله مصنفات في العلم والأدب تشهد له بأعلى الرتب"[3]، وقال ابن بسّام صاحب كتاب الذخيرة: "كان في وقته راعي تلعات العلم، وجامع أشتات النثر والنظم، رأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنّفين بحكم قرانه، سار ذكره سير المثل، وضُرِبَت إليه آباط الإبل، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب، تآليفه أشهر مواضع، وأبهر

[1] يُنظر: وفيات الأعيان ٢/ ص ٣٥٢، وهناك من ذكر سنة ٤٣٠ هـ كابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٣ -٢٤٦، وابن قاضي شهبة في طبقات النحاة واللغويين ٣٨٧/٢، وذكر الصفدي التاريخين معاً في الوافي والوفيات ١٥ – ١٧، والأرجح أن وفاته كانت على الصحيح في ٤٢٩هـ، وإنما أورد البعض سنة ٤٣٠ هـ بناء على فكرة أنه عمّر ثمانين سنة.

[2] يتيمة الدهر، ص ٤. مقدمة المحقق.

[3] زهر الآداب، أبو إسحاق الحصري، دار الجيل– بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م، ١ / ١٦٩.

مطالع، وأكثر راوٍ لها وجامع، من أن يستوفيها حدّ أو وصف، أو يوفيها حقوقها نظم أو رصف " [1]، ويقول ابن الأنباري في نزهة الألبّاء: " وأما أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، فإنه كان أديباً فاضلاً فصيحاً بليغاً، صنّف كتباً كثيرة .. وأخذ عن أبي بكر الخوارزمي " [2]، ويقول ابن كثير في البداية والنهاية: "كان إماماً في اللغة والأخبار وأيام الناس، بارعاً مفيداً، له التصانيف الكبار في النظم والنثر والبلاغة والفصاحة، وأكبر كتبه يتيمة الدهر "[3]. وقد صرّح الباخرزي بتلمذته له، والإفادة من علمه، و يُعتبر " دمية القصر " ثمرة لتلك التلمذة [4]. كما سمع عنه البيهقي، وأبو محمد إسماعيل بن محمد النيسابوري وغيرهما [5]. ويصفه

---

[1] يتيمة الدهر، ص ٤. مقدمة المحقق.

[2] نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري(أبو البركات كمال الدين الأنباري ت ٥٧٧ هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار – الأردن، الطبعة الثالثة ١٩٨٥ م – ١٤٠٥ هـ، ص ٢٦٥-٢٦٦.

[3] البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، مكتبة المعارف – بيروت ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م، ١٢/ ٤٤ .

[4] مقدمة القصر وعصرة أهل العصر، الباخرزي، تحقيق سامر مكي العاني، دار العروبة – الكويت، الطبعة الثانية ١٩٨٥م. ٢/ ٢٦٢ .

[5] الثعالبي ناقداً وأديباً، ص ٥٣ – ٥٤ .

محمد كرد علي بأنه: "كان شاعراً عظيماً وكاتباً مجيداً، يعرف مايختار ويدع، وفي كل ما كتب أجاد وأبدع .."[1]، ويعدّه جرجي زيدان خاتمة مترسلي العصر العباسي الثالث، " وأهم أدبائه، وأوسعهم مادة "[2]، ويصفه أحمد أمين في ظهر الإسلام قائلاً: "كان واسع العلم باللغة والأدب والأدباء وتاريخهم "[3]. وهكذا كانت حياة الثعالبي رحلات متتالية، لم تعرف الاستقرار إلا نادراً، وكان في أسفاره يتبع الأخبار، ويسمع الأشعار، فاكتسب ثقافة متنوعة واسعة، مكَّنته من ربط علاقات مع الأمراء والوزراء وكبار أدباء العصر، وصلت أحيانا إلى حدّ الصداقة والأخوّة، وأهداهم مجموعة كبيرة من مؤلفاته التي كان لها تأثير كبير في لاحقيه من أهل المشرق والمغرب [4]. و للثعالبي مصنفات عديدة تطرّق فيها إلى مختلف أنواع المعرفة، نُشر بعض هذه المصنفات، وبعضها الآخر مفقود أو

---

[1] كنوز الأجداد، ص ٢٣٣.

[2] تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مكتبة الحياة – بيروت ١٩٦٧ م،٢ / ٣٢٠.

[3] ظهر الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية١٩٥٢م،١ / ٢٧٢.

[4] كعلاقته بالميكالي (يُنظر مقدمة محقق " من غاب عنه المطرب" ص ٤٠ – ٤٣)، ومقدمة محققة " الكناية والتعريض" ص ١٩، وعن علاقته بالمهلبي الوزير (يُنظر مقدمة محقق " من غاب عنه المطرب" ص ٤٢).

منسي أو حبيس بين رفوف المخطوطات، وله كتابٌ ذائع السيط يتناوله كلُّ من يشتغل باللغة والبلاغة، وهو كتابه المشهور " فقه اللغة وسر العربية " الذي صنفه العلماء معجماً للموضوعات، وقد تطرّق فيه لعدة موضوعات، وحاول أن يستقصي كل ما ورد بخصوص هذا الموضوع أو ذاك، فكانت هذه الأبواب ثروة لفظية هائلة تدل على دقة الملاحظة وسعة الاطلاع.

مؤلفات الثعالبي المطبوعة والمخطوطة

ألّف الثعالبي طائفة من الكتب في اللغة وفقهها، وأشهر هذه الكتب كتاب " فقه اللغة وسر العربية "، وقد أهداه لأبي الفضل الميكالي الذي أعاره مكتبته وساعده في اختيار فصول الكتاب وأبوابه، وهو قسمان، قسم في المترادفات وقسم في الحديث عن الأسلوب، وكان موضوعه " مجاري كلام العرب وخصائصها برسومها وما يتعلق بالنحو والإعراب منها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها "، والقسم الأول من الكتاب هو

المطبوع باسم " فقه اللغة " في جزء واحد، ويعترف الثعالبي بأنه في تصنيفه قد انتقى وانتخب من كتب الخليل والأصمعي والكسائي والفرّاء وابن الأعرابي والأزهري والخوارزمي وأبي الحسن الجرجاني، وكان الثعالبي قد نقل فيه فصولاً بحذافيرها من كتاب فقه اللغة لأحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ). ويقع كتاب الثعالبي في ثلاثين باباً وما يناهز ستمئة فصل، وراج هذا الكتاب رواجاً عظيماً. ونُسب للثعالبي في اللغة كتاب " الأشباه والنظائر"، وهو يبحث في الكلمة الواحدة المذكورة في القرآن في مواضع بلفظ واحد وبنية واحدة وأُريد منها في كل مكان معنى غير المعنى الذي أُريد في موضع آخر، وهذا من دلائل الإعجاز القرآني إذ ترقى الكلمة إلى وجوه شتى. ومن مؤلفات الثعالبي الأدبية المطبوعة كتاب " سحر البلاغة وسر البراعة "، وفيه جمع عبارات في موضوعات كثيرة تساعد القارئ على الكتابة والإنشاء، وكتاب " كنز الكتّاب " وهو يجمع خمسمئة وألفين قطعة من الشعر لمئتين وخمسين شاعراً، وكتاب " من غاب عنه المطرب "، وله كتب قصد بها إزجاء الفراغ وفيها أخبار شتى وقصص

تاريخية منها " غرر أخبار ملوك الفرس "، وقد طبع مع ترجمة فرنسية له، و" سير الملوك " و" لطائف المعارف " و" ما جرى بين المتنبي وسيف الدولة "، وكتاب " الفرائد والقلائد "، وكتاب " التمثيل والمحاضرة في الحكم والمناظرة " وكتاب " لطائف الظرفاء وطبقات الفضلاء "، وكتاب " لطائف المعارف "، وكتاب " مرآة المروءات وأعمال الحسنات "، وكتاب " مؤنس الوحيد ونزهة المستفيد "، وقد نشر فلوغل مختصرات منه مع ترجمة إلى الألمانية، وكتاب " يواقيت المواقيت " وهو كتاب في مدح الأشياء وذمها، وكتاب " العقد النفيس " وهو كتاب في الأمثال والتشبيهات.

للثعالبي مصنفات كثيرة قيمة، يتسم معظمها بالقصر إن لم يكن كلها عدا كتاب (يتيمة الدهر)، وقد تجاوزت هذه المؤلفات المئة، ما بين مطبوع ومخطوط . من مؤلفاته التي ذكرها الزركلي ما بين مطبوع ومخطوط مُذيّلاً ذلك بحرف (ط) أو (خ) منها: اليتيمة (ط) فقه اللغة (ط) سحر البلاغة (ط)، طبقات الملوك (خ)، الإعجاز والإيجاز (ط)، نثر النظم

وحـل العقـد (ط)، مـكارم الأخـلاق (ط)، ثمـار القلـوب في المضـاف والمنسـوب (ط)، سر الأدب (ط)، الكنايـة والتعـريض (ط)، المـؤنس الوحيـد (ط)، التجنـيس (خ)، غـرر البلاغـة (خ)، بـرد الأكبـاد (ط)، الأمثـال (ط)، مـرآة المـروءات (ط)، الغلمان (خ)، تحفـة الـوزراء (خ)، أحسن المحاسن (خ)، أحسن ماسمعت (ط)، اللطائف والظرائـف (ط)، يواقيت المواقيت (ط)، الشكوى والعتاب (خ)، المقصور والممدود (خ)، المتشابه (ح)، المنتحل (خ)، المبهج (ط)، التمثيل والمحاضرة (خ) [1].

أشار الدكتور مصطفى الشكعة إلى غنى وكثرة مؤلّفات الثعالبي، يقول: " بعضـها مطبـوع وبعـض آخـر لايـزال مخطوطـاً، وهي في الشـعر والنـثر والطرائف الأدبية وفقه اللغة والبلاغة والتاريخ والـتراجم الأدبيّـة "[2]، وذكر له ابن عماد الحنبلي: فقه اللغة وسر العربية، واليتيمة، وسر البراعة[3]. كان

[1] الأعلام، خير الدين الزركلي، مطبعة كوستا توماس – القاهرة ١٩٥٩ م، ٢ / ٣٥٢.
[2] مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب، د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٩١ ، ص ٢٨١ – ٢٨٢.
[3] شذرات الذهب، عبد الحي بن عماد الحنبلي، مكتبة القدس– مصر، ١٣٥٠ هـ، ٣ / ٢٤٧.

الثعالبي قوي الحافظة وافر الذكاء، يقرأ بنهم، وقد استطاع أن يستفيد من كل ما قرأ، خاض في العلوم الأخرى كالبلاغة والنقد واللغة والتاريخ والأخلاق، وهذا ما يفسّر تنوع مواضيع مؤلفاته التي وُصفت بموسوعة ثقافة القرن الرابع التي لا يستغني عنها عالم أو أديب [1]. وذكر له طاش كبري زاده: اليتيمة، فقه اللغة، مؤنس الوحيد، سحر البلاغة، نشر البراعة، من غاب عنه المطرب[2]. وذكر له حاجي خليفة حوالي عشرين كتاباً[3]، وذكر له ابن خلّكان: اليتيمة، فقه اللغة، سحر البلاغة، سر البراعة، مؤنس الوحيد، من غاب عنه المطرب[4]. وذكر الكلاعي خبراً عن أبي الحسن بن بسام أن الوزير أبي بكر بن العربي قد أخبره عن مؤلفات الثعالبي وعددها واحد وعشرون، وأن المذكور (أبي الحسن) لم يسمها ولكن: " وجدت

---

[1] الثعالبي ناقداً وأديباً، ص ٤٧ – ٤٨ .

[2] مفتاح السعادة ومصباح السيادة، أحمد بن مصطفى المشهور بطاشي كبري زاده، تحقيق كامل كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، مطبعة الاستقلال الكبرى–مصر ١٩٦٨م، ١/ ٢٣١.

[3] كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مطبعة وكالة المعارف ١٩٤١ م، ١٣٦٠ هـ، للاستزادة: ١٤ .... ومابعد.

[4] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٦٨ م، ٢ / ٣٥٢.

بعد موته تسميتها بخط يده، فمن ذلك فقه اللغة، ويتيمة الدهر، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب، وبرد الأكباد في الأعداد، وحل العقد، ومرآة المروءة، وأحسن ماسمعت، وأحاسن المحاسن، وغرر المضاحك، والفرائد والقلائد، والتمثيل والمحاضرة، وأجناس التجنيس، والمبهج، والطوائف واللطائف، والكناية والنهاية، والثلج والمطر، والسحر والبلاغة، وسجع المنثور، واللمع الفضة، وكتاب ألف غلام، وتتمة اليتيمة "[1]. وأتمّها الصفدي إلى سبعة وستين كتاباً في الوافي بالوفيات نقلها ابن قاضي شهبة الأسدي منها: مدح الشئ وذمّه، الشمس، السياسة، تفضل المقتدرين وتتنصل المعتذرين، التحسين والتقبيح، خاص الخاص، الإعجاز والإيجاز، أنس المسافر، عيون النوادر، المتشابه لفظاً وخطاً، من أعوزه المطرب، سر الأدب في مجاري كلام العرب، منادمة الملوك، عنوان المعارف، الورد، حجة العقل ... وغيرها[2]. لقد ذكر له يوسف

[1] أحكام صنعة الكلام، الكلاعي، تحقيق محمد رضوان الداية، مطبعة الثقافة – بيروت، ١٩٦٦م، ٢٢٣ – ٢٣٣.

[2] طبقات النحاة واللغويين، ابن قاضي شهبة الأسدي (٨٥١ هـ)، نسخة مصورة عن نسخة الظاهرية في قسم المخطوطات بجامعة الكويت، ٢ / ٣٨٧ – ٣٨٨.

سركيس في معجم المطبوعات تسعة وعشرين كتاباً[1] ، وذكر جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية قائمة تضمّ ستة وثلاثين كتاباً[2]، وذكر أحمد أمين في ظهر الإسلام ثلاثة عشر كتاباً للثعالبي[3]، وذكر له عمر رضا كحالة سبعة مؤلفات[4]، وذكرت دائرة المعارف الإسلامية له اثنين وثلاثين كتاباً[5].

لقد ذكر محمود الجادر مئة وستة كتب توزعت بين مطبوع ومخطوط ومفقود ومنسوب إليه عن طريق الخطأ، فكانت ثلاثة وعشرين كتاباً مطبوعاً، وعشرين مخطوطاً، واثنين وخمسين مفقوداً وأحد عشر كتاباً نُسب إليه عن طريق الخلط[6]. وقد ذكر من المؤلفات المنسوبة إليه " الأشباه والنظائر " لم يشر إليه أحد من القدماء والمحدثين، له مخطوطة في

---

[1] معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف اليان سركيس، مطبعة سركيسي – مصر، ١٩٢٨ م، ١٣٤٦ هـ، يُنظر: م ١/ ٦٥٦ – ٦٦٠.

[2] تاريخ آداب اللغة العربية، يُنظر: ٢ / ٣٢٥ – ٣٣٣.

[3] ظهر الإسلام، يُنظر: ١ / ٢٧٣ – ٢٧٦.

[4] معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مطبعة الترقي – دمشق، ١٩٥٨م، ١٣٧٨ هـ، ٦ / ١٨٩.

[5] دائرة المعارف الإسلامية، مراجعة وزارة المعارف العمومية – مصر، ١٩٣٣م، ٦ / ١٩٣.

[6] الثعالبي ناقداً وأديباً، يُنظر: من ص ٧٠ ومابعد.

معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية منسوبة للثعالبي في الكلمات المتشابهة في اللفظ، المختلفة في المعنى في القرآن الكريم. ومنهج الكتاب ومادته يخالفان ما هو مألوف في كتب الثعالبي[1]، طُبع عن دار عالم الكتب في بيروت، ومكتبة المتنبي بالقاهرة عام ١٩٨٤ م بتحقيق محمد المصري[2]. كذلك " تراجم الشعراء " منه مخطوطة في جامعة الدول العربية، فُقدت أوراقها الأولى، وجاء في أول ورقة: " المعروف بيتيمة الدهر"، فظنوا أنها له، وفيها تراجم للشعراء بغير طريقة الثعالبي في توزيع الشعراء على بيئاتهم، و الالتزام بالترجمة للمحدثين دون القدماء. فقد يكون اسم اليتيمة ورد على سبيل التشبيه أو المقارنة[3]، ومنها أيضاً " الجواهر الحسان في تفسير القرآن "، نسبه محققا " لطائف المعارف" إلى الثعالبي، بينما نسبه الزركلي والبغدادي إلى عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري الثعالبي، وقد طبع في الجزائر عام ١٣٢٧ هـ، وحققه

[1] السابق، ص ١٢٤.
[2] نفسه، ص ٩١.
[3] نفسه، ص ١٢٨.

الدكتور محمد شريف قاهر. وكذلك " دور الحكم " له نسخة في دار الكتب منسوبة للثعالبي، وهي مجموعة من الأمثال، لا تشبه أمثال الثعالبي، ولا منهجه، و يبدو أنها للمستعصمي كما ورد في آخر المخطوطة[1]. وكذلك " روضة الفصاحة " لم يشر إليه أحد من القدماء والمحدثين، و يتضمن شرحاً للبلاغة تنظيراً وتطبيقاً في قسمين، يختلف منهجه عن منهج الثعالبي، وطريقته في التأليف، طبع بدار مكتبة القرآن بالقاهرة عام ١٩٩٤ م بتحقيق محمد إبراهيم سليم. كذلك " الشكوى والعتاب وما وقع بين الخلان والأصحاب " لم يشر إليه أحد من القدماء والمحدثين، سوى جرجي زيدان، وأشار إلى نسخة له بدار الكتب، وهلال ناجي في مقدمتي " التوفيق للتلفيق " و" الأنيس في غرر التجنيس"، وذكر له فيها أشياء عامية لم نعهدها عند الثعالبي، طُبع بدار الصحابة للتراث بطنطا عام ١٩٩٢ م[2]. وكذلك " طرائف الطرف " لم يشر إليه أحد من القدماء، ونسبته دائرة المعارف للثعالبي، وذكرت مكان

[1] الثعالبي ناقداً وأديباً، ص ١٢٢ – ١٢٤.
[2] نفسه، ص ١٢٥.

مخطوطاته، وجاء في مقدمته قول الكاتب، بأنه سيورد أقوال من أدركهم، أو تقدموه، ثم يروي لمتأخرين جداً عن الثعالبي، مما ينفي نسبته إليه، وهو للبارع الهروي [1]. وكذلك كتاب " الفرائد و القلائد " نسبه إليه الكلاعي وابن الأنباري والصفدي وابن قاضي شهبة الأسدي، طُبع على هامش " نثر النظم" منسوباً إليه، بالقاهرة أيضا سنة ١٣٢٧ هـ. وطُبع بعنوان " أحاسن المحاسن" منسوباً إلى علي بن الحسين بن الحسن الرخجي في مجموعة "خمس رسائل" بالقسطنطينية عام ١٣٠١ هـ، والطبعات كلها كتاب واحد لأبي الحسين محمد بن الحسين بن أحمد الأهوازي معاصر الثعالبي. وكذلك كتاب " الكشف والبيان " نسبه له محققا " لطائف المعارف "، أما حاجي خليفة، فقد نسبه إلى أبي إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، وقرر ذلك كل من ترجم للثعالبي [2]. وكذلك " المقصور والممدود " ذكر له جرجي زيدان نسخة في دار الكتب، ونسبها له الزركلي، ومحققا " لطائف المعارف" ومحقق "التمثيل و المحاضرة "

[1] السابق، ص ١٢٤ – ١٢٥.
[2] نفسه، ص ١٢٣.

ومحقق " شهنامة الثعالبي"، وتوجد مخطوطة بهذا العنوان منسوبة إلى أبي علي القالي، ويرى محمود الجادر أنه ربما التبس الأمر على جرجي زيدان بين الاسمين [1]. وكذلك " مكارم الأخلاق " ذكره الصفدي والزركلي، ونشره لويس شيخو في بيروت عام ١٩٠٠ م منسوباً للثعالبي، وتأكد أنه منتخبات من " الفرائد والقلائد " المنسوب للثعالبي [2]. وكذلك " مؤنس الوحيد " نسبه إليه ابن خلكان وحاجي خليفة، والبغدادي، وطاش كبري زاده، طُبع في فينا سنة ١٩٠٠ م بتحقيق غوستاف فليفل وأنطوان شحيد بعنوان " مؤنس الوحيد بنزهة المستفيد "، إلا أن دائرة المعارف الإسلامية أشارت إلى أن الكتاب، إنما هو جزء من "محاضرات الأدباء" للراغب الأصبهاني. وقد ذكر له محمد كرد علي في "كنوز الأجداد " أكثر من عشرين كتاباً منها: أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الإسلام، برد الأكباد في الأعداد، حل العقد،

[1] الثعالبي ناقداً وأديباً، ص ١٢٣- ١٢٤ .
[2] نفسه، ص ١٢٨.

الكناية والتعريض، مكارم الأخلاق، المنتحل، اليتيمة، فقه اللغة ..[1]. وله في ميدان الشعر كتاب" نثر النظم وحل العقد"من مختار الشعر الذي يشتمل عليه الكتاب المترجم " بمؤنس الأدباء"، وقد ألفه تلبية لأبي العباس خوارزم شاه، وهو مطبوع. للثعالبي أيضاً نظم من الشعر في بعض كتب الأدب، وقد قام بجمع هذه الأشعار الأستاذ عبد الفتاح الحلو ونشره في مجلة (المورد) العراقية [2] تحت عنوان: " شعر الثعالبي ". وللثعالبي شعر يمثل بيئته وعصره في استخدام الزخارف والمحسنات اللفظية، وقد طرق فيه أبواب الشعر من مديح وغزل ووصف وشكوى. وتتراوح معانيه قوة وضعفاً بحسب الغرض الذي يطرقه، وإن كان شعره في مجمله لا يرتفع في معانيه وأسلوبه عن أوساط شعراء عصره، غير أن ما أورده في ديوانه من تفاصيل الحياة يجعل هذا الشعر وثيقة من وثائق تلك الحقبة، تكشف عن سماتها الاجتماعية والفكرية والفنية، كما أن الدكتور محمود الجادر قد جمع شعره، ونشره تحت عنوان" ديوان الثعالبي

[1] كنوز الأجداد، ٢٤٣ – ٢٣٦.
[2] المجلد ٦ ، العدد ١ (١٩٧٧) م، من ص ١٣٩ ــ ١٩٤ .

" [1].لقد اتصّف الثعالبي بالموسوعيّة، وأقرّ النقّاد بهذه السعة، وفي ذلك يراه علي أدهم " مؤلّفاً بارعاً له كتب كثيرة في موضوعات مختلفة جزيلة الفائدة تدلّ على تمكّن،وتنمّ على حياة أُوقفت على البحث والتصنيف "[2].

أشهر مؤلّفاته المطبوعة

للثعالبي عدد غير قليل من مؤلفاته المطبوعة نذكر منها:

١- " أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الإسلام والوزراء والكتاب والبلغاء و العلماء" طُبع سنة ١٨٤٤م.

٢- " الإعجاز والإيجاز " طبعه إسكندر آصاف في مصر سنة ١٨٩٧ م.

٣- - " الاقتباس من القرآن الكريم " نشرت ابتسام مرهون الصفار الجزء الأول منه في بغداد سنة ١٩٧٥ م .

٤- " الأنيس في غرر التجنيس " نشره هلال ناجي في بغداد سنة ١٩٨٢ م

[1] طبعته مكتبة النهضة العربية، وهي الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ويقع في ١٦٠ صفحة.
[2] بعض مؤرخي الإسلام، (من التاريخ ((٣)))، تأليف علي أدهم، مكتبة نهضة مصر بالفجالة. (بدون تاريخ)، ص ٩٩.

٥- " برد الأكباد في الأعداد " طُبع في الآستانة سنة ١٣٠١ هـ، ضمن كتاب خمس رسائل في مطبعة الجوائب، وأعادت نشره دار الكتب العلمية في النجف دون ذكر التاريخ.

٦- " تتمة اليتيمة " طبعت في إيران سنة ١٣٥٣ هـ، بتحقيق عباس إقبال، يقع في جزأين.

٧- " تحسين القبيح وتقبيح الحسن " نشره شاكر العاشور مفرّقاً في مجلة (الكتاب) ببغداد عامي ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥ م، ثم أعاد نشره في كتاب مطبوع مستقل من مطبوعات وزارة الأوقاف ببغداد سنة ١٩٨١ م .

٨- " التمثيل والمحاضرة " نشره عبدالفتاح الحلو في القاهرة سنة ١٩٦١م .

٩- " ثمار القلوب في المضاف والمنسوب " نشره محمد أبو الفضل إبراهيم في القاهرة سنة ١٩٦٥ م.

١٠- " خاص الخاص " طُبع في تونس سنة ١٢٩٣ هـ، ثم طُبع في مصر- بعناية (محمود السمكري) بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ، وطبعته دار مكتبة الحياة في بيروت سنة ١٩٦٦ م بتقديم حسن

الأمين. ثم طبعته دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤ م بتحقيق د. صادق النقوي .

١١- سحر البلاغة وسر البراعة،طُبع بدمشق بتحقيق أحمد عبيد (ب تاريخ)

١٢- الظرائف واللطائف، وقد دمج أبو نصر المقدسي هذا الكتاب مع كتاب (اليواقيت والمواقيت) وسمي المجموع: (اللطائف والظرائف) وبالعنوان الأخير طبع بمصر سنة ١٢٧٥ هـ و ١٢٩٦ هـ و ١٣٠٧ هـ، وطبع في بغداد سنة ١٢٨٢ هـ .

١٣- "غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم " طُبع في باريس، بتحقيق زوتنبرك سنة ١٩٠٠م.

١٤- " فقه اللغة وسر العربية " طُبع قديماً وحديثاً، قديماً أجود طبعاته بتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري بمصر- سنة ١٩٣٨ م، كما طُبع مؤخراً في العصر الحديث طبعات جديدة.

١٥- " الكناية والتعريض، النهاية في الكناية " طبع بمطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ، مع كتاب" المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء" للجرجاني. ثم أعيد طبعه ضمن رسائل الثعالبي، كما طُبع " الكناية والتعريض " بتحقيق د.عائشة حسين فريد في مصر- دار قباء سنة ١٩٩٨م.

١٦- " لطائف المعارف"طبع بعناية المستشرق (دي يونغ) في ليدن ١٨٦٧م، وأعاد طبعه حسن كامل الصيرفي وإبراهيم الأنباري في القاهرة ١٩٦٠ م .

١٧- " المبهج " طُبع في مطبعة النجاح بمصر سنة ١٩٠٤ م .

١٨- "من غاب عنه المطرب" طُبع في القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ ضمن مجموعة التحفة البهية، وطُبع ببيروت سنة (١٣٠٩) هـ، وطبع بالقاهرة سنة ١٤٠٥ هـ بتحقيق د . النبوي شعلان.

١٩- " النهية في الطرب والغنية " طُبع بمكة المكرمة سنة١٣٠١ هـ، وفي القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ.

٢٠- " نثر النظم وحل العقد " طُبع بدمشق وعلى هامشه الفرائد والقلائد سنة ١٣٠١هـ، وطبع بمصر سنة ١٣١٧م .

٢١- " نسيم السحر " مختصر من كتاب فقه اللغة. نشره محمد حسن آل ياسين في بغداد، ثم أعادت نشره ابتسام مرهون الصفار في المجلد الأول من مجلة " المورد " ببغداد سنة ١٩٧١ م .

٢٢- " اليواقيت في بعض المواقيت " أدمجه أبو النصر المقدسي مع كتاب "الظرائف واللطائف" وأبقى مقدمتي الكتاب، وسمى المجموع " اللطائف والظرائف ".

٢٣- " أحسن ما سمعت "، طبعه محمد صادق عنبر في مصر سنة ١٣٢٤هـ . كما طبعته دار الطلائع للنشر والتوزيع في القاهرة بتحقيق محمد إبراهيم سليم (بدون تاريخ).

٢٤- " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر "، أشهر كتب الثعالبي، طُبع عدّة مرات، ومن طبعاته طبعة الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد سنة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦ م في القاهرة، ومنها أيضاً طبعة

بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م بشرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة.

نلاحظ تنوّع موضوعات مؤلفات الثعالبي، فقد تطرَّق إلى أغلب أنواع التأليف، في اللغة والأدب والتاريخ، ولكن رغم تشعب مؤلفاته، وتنوع مواضيعها، فقد اتسمت بطابع يكاد يميزها عن غيرها من المصنفات، وعمل على الالتزام بمنهج يقوم بتحديده في مقدمات كتبه [١]. واتسمت مؤلفاته بالدقة العلمية، فهو لا يتحرج من ذكر حقائق فاتته فيما سبق، ثم عمل على استدراكها فيما بعد [٢]. أو من التصريح بأنه استعان ببعض العلماء من أصدقائه في إخراج بعض فصول كتبه، ومن سمات مؤلفات الثعالبي ظاهرة التكرار، ولكنه لم يكن ذلك التكرار الذي يبعث الملل، فقد كان يفيد من النص الواحد في وجوه مختلفة، كترجمة لصاحبه، أو الاستشهاد به كمثل، ثم يورده لغرض بلاغي، وهكذا. لعل حرصه على الاستشهاد

[١] الثعالبي ناقداً وأديباً، ص ١٣٠.
[٢] يتيمة الدهر، ص ١١٨.

بالشعر المحدث، هو الذي جعله يستشهد بالنص الواحد أكثر من مرة [1].

ويكتشف المطلع على مؤلفات الثعالبي تشابهاً كبيراً بين بعض فصولها، " بل إن بعض هذه الكتب تكاد تكون في موضوع واحد، فكتاب " تحسين القبيح وتقبيح الحسن " وكتاب "اللطائف والظرائف" وكتاب" يواقيت المواقيت" وبعض موضوعات" التمثيل والمحاضرة "، كلها في موضوع واحد، وهو مدح الشئ وذمّه" [2].

لقد تمكَّن الثعالبي - من خلال إنتاجه الغزير- من تدوين معارف عصره، فمؤلفاته عبارة عن مرآة ناصعة، عكست جوانبه السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والأدبية. وله الفضل في رسم صورة واضحة المعالم عن العصر الذي عاش فيه، صورة متنوّعة ومتداخلة تحمل هوية تدلّ على ثقافة واسعة في اللغة والأدب والأعلام من العرب وغيرهم من الأقوام في حقبة زمنيّة حفلت بأحداث تاريخية وسياسيّة وثقافية.

---

[1] الثعالبي ناقداً وأديباً، ص ١٣٠.

[2] الكناية والتعريض، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، دراسة وشرح وتحقيق د. عائشة حسين فريد، الدار الناشرة دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، شركة مساهمة مصرية، تاريخ ١٩٩٨ م ص ١١.

كتاب " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر "

ذكرنا سابقاً أن الثعالبي ألّف وصنَّف في مختلف ألوان المعرفة والأدب والعلم ما يزيد على مئة كتاب، وأشهر تصانيفه وأهمها: " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر "، موجود منه مخطوطات في أوربا، ذكرته دائرة المعارف الإسلامية على أن له نسخ عديدة، وذكر بروكلمان مخطوطاته في باريس، ومخطوط في المتحف البريطاني[1]. وقد بدأ تأليفه في بداية شبابه، ثم عاد إليه بعد سنوات في كهولته ليتم ما بدأه، وكانت غايته في هذا الكتاب خدمة اللغة العربية لغة القرآن الكريم، من طريق الشعر الذي هو عمدة الأدب، تناول في الكتاب شعراء عصره ومن سبقهم، ورتَّبهم بحسب بلدهم أو إقليمهم أو البلاط الذي عاشوا في رحابه، ولم يقتصر الثعالبي في كتابه على الترجمة المحضة، بل أورد آراء نقدية ونظرات أدبية تنمّ على ذوق أدبي رفيع، كما عمد إلى المقارنة والموازنة بين من ترجم لهم وبين غيرهم من الشعراء في الفن والشعر، وتتبّع سرقات الشعراء، وأشار

[1] دائرة المعارف الإسلامية، ٦ / ١٩٤.

إلى المعاني التي اقتبسوها من غيرهم، وعلى إعجابه ببعض الشعراء كالمتنبي وتعصبه لشعراء الشام وتقديمهم على باقي شعراء الأقطار، لكن إعجابه وتعصّبه للمتنبي لم يمنعه من نقده.

يحوي الكتاب بينَ دفّتيه اختياراتٍ شعرية ورسائلَ فنية وأخباراً أدبية لِشعراء وأدباء من القرن الرابع وصدر من القرن الخامس مرتّبة بحسب الأماكن والأصقاع التي كانت تمتدّ عليها رقعة الدولة العربية الإسلاميّة. وهذه الحِقبَة على ما فيها من التفرُّق والتمزُّق تُعَدّ أزهى حقب الزمان في العلوم والفنون. إن القرن الرابع الهجري بمجتمعه الإسلامي هو قلب الدولة العباسية، ويتكون من عناصر بشرية مختلفة، العرب والترك والفرس والروم والزنج وغيرهم[1]، وعلى الرغم من أن هذه الفترة الزمنية شهدت قلقلة سياسية واضطرابات وفتن إلا أن هذه الظروف السياسية وما تبعها من ظروف اجتماعية واقتصادية لم يؤثّر كلّ ذلك على الحياة الفكرية

[1] تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، محمد جمال الدين سرور، القاهرة ١٩٩٥م. ص ١٦٩ ومابعدها.

[1]، بل واصلت الحياة الفكرية توسّعها، ونضجت العلوم والمعارف، وكان خير مثال على ذلك كتاب الثعالبي " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر "، فتعددت المراكز الفكرية مثل قرطبة والقاهرة وبخارى وغزنة وحلب وأصبهان، والريّ وسمرقند [2]، وتلك المراكز المتقدمة فكراً وعلماً كانت تنافس بغداد حاضرة العباسيين في الحضارة والعلوم والآداب [3].

كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الذي قال فيه أبو الفتوح نصر الله بن قلافس الشاعر الإسكندري المشهور: [4]

أبيات أشعار اليتيمة أبكار أفكار قديمة

ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سُمّيت اليتيمة

كتاب فريد في بابه حقاً، قلَّ له النظير في ذلك العموم والخصوص، فقد جمع صاحبه فيه شعراء القرن الرابع الهجري وصدر القرن الخامس، من

[1] ظهر الإسلام، أحمد أمين، بيروت – دار الكتاب العربي، بدون تاريخ ص٢
[2] تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ٢١٤ – ٢١٩.
[3] تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، مصر – مطبعة السعادة، الطبعة الخامسة ١٩٦٠م. المقدمة ص ١.
[4] يتيمة الدهر، ص ١١. و البداية والنهاية ١٢ / ٤٤. ومناهج التأليف عند العرب ٤٥٥.

تخوم الصين إلى المحيط الأطلسي، واختصه بتلك الحقبة الزمنية إذ كان شعر أصحابها كما قال: " .. أجمع لنوادر المحاسن، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين، لانتهائها إلى أبعد غايات الحسن، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف .. " [1].

فالكتاب إذن موسوعة لشعراء هذا الجيل، يعرض نماذج من أشعارهم، مختلفة في الطول والقصر، والموضوع والغرض، وإلى جانبها نماذج أخرى قليلة من النثر الفني، خصوصاً ما كان منها لرؤساء الكتّاب، ثم إن الكتاب أهم ما صدر عن صاحبه، واستمر في تأليفه، يزيد وينقص، وينقّح ويغيّر في الترتيب والتبويب، إلى أن انتقل إلى جوار راجياً ممن يخلفه أن يكمل ما فاته، وأن يضيف إلى شخصياته، وذكر جملة من أعلامها، وقد استجاب لرغبته - في بعضها - وهو على قيد الحياة الأمير عبد الله الميكالي، فزاد عليه ترجمة أبي الحسن علي بن محمد الغزنوي الأصبهاني، فأجاز ما فعله الأمير الميكالي. ولليتيمة ذيول كثيرة، وقد صنّف الثعالبي

[1] يتيمة الدهر، ص ٢٦.

أول ذيل لكتابه سمَّاه " تتمة اليتيمة "، ومن أشهر هذه الذيول ما ذيّله علي الباخرزي النيسابوري، توفي سنة ٤٦٧ هـ، فذيله بكتابه " دمية القصر وعصرة أهل العصر" فزاد خلقاً كثيراً، وجاء بعدهما العماد الأصفهاني ت ٥٩٧هـ، فألَّف كتابه " خريدة العصر وجريدة العصر " احتذى فيه حذوهما، كما يصرّح بذلك في المقدمة، فملأ الحقبة الزمنية التي جاءت بعدهما، فترجم في كتابه لأدباء عاشوا في النصف الثاني من القرن الخامس ثم في القرن السادس، وكان عمله هذا أشمل؛ حيث وجدناه يسجّل رجالاً من الشمال الأفريقي وجزيرة صقلية، وكذلك " زينة الدهر " تصنيف أبي المعالي سعد بن الوراق ت ٥٦٨ هـ، وهو تذييل لدمية الباخرزي يقع في مجلد واحد، وذُكر أيضاً " وشاح الدمية " لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي، وذُكر كذلك لتقي الدين بن عبد القادر المصري ت١٠٠٥ هـ مختصراً لكتاب اليتيمة[١].

[١] السابق، ص ٢٠.

لقد كان الثعالبي في تأليفه لهذا الكتاب يطوف البلاد المشرقيّة الشاسعة الأرجاء، فكتب فصولاً في تجواله هذا، كما يشير إليه في بعض التراجم، كان في ذلك التطواف يقصد الأدباء والشعراء فيجالسهم، ويتلقى من أفواه أولئك الرجال استماعات عديدة تربو على الخمسين، كما كان يكاتبهم، ويستطرفهم بآثارهم، أو دواوين لغيرهم، يختار منها، أو يتلقى منهم بعض قصائد أو أبيات، يثبتها أو ينتقي منها ما يستحسنه. كان ذلك كله في غير عصبية أو تحيّز، ونحن لا نتفق هنا مع ما ذكره أبو رجاء محمد محي الدين عبد الحميد في مقدمته التي تلت مقدمة المحقق وكان قد ذكر في النسخة التي اعتمدناها من تحقيق مفيد قميحة فيما فحواه: " وتظهر هذه العصبية في ناحيتين من كتابه: أما إحدى هاتين الناحيتين ففي حديثه عن شعراء الشام ..[إلى أن يقول] وأمَّا الناحية الثانية ففي حديثه عن الشعراء من الملوك والرؤساء .." [1]، وكان الذين تلقى منهم في الشرق كثيرين، أما في الغرب فكانوا قليلين، كما تلقَّى بعض آثارهم من أبي سعيد

[1] يتيمة الدهر، ص ١٦ – ١٧ .

بن دوست، عن الوليد بن بكر الفقيه الأندلسي فيما قال. أما ماعدا هذا فقد يكتفي بقوله: " أُنشدت "، وقد يعرض الأبيات هذه أو تلك دون أن يذكر شيئاً عن المصدر الذي استقى منه هذه الأبيات.

أقسام وأبواب الكتاب

قال الثعالبي في ديباجته: " ثم إنَّ هذا الكتاب المُقَرَّر ينقسم إلى أربعة أقسام يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول "[1]. لقد قسّم الثعالبي يتيمته لأربعة أقسام، يخصُّ في كل قسم منها شعراء مصرٍ من الأمصار، وقسّم القسم الواحد إلى أبواب، والأبواب إلى فصول حسب مايلي:

القسم الأول

في محاسن أشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من أهل الشام، وما يجاورها، ومصر والموصل والمغرب، ولمع من أخبارهم. في هذا القسم مئة وعشرة شعراء. وجعل هذا القسم عشرة أبواب:

[1] السابق، ص ٣٠.

١- في الباب الأول: في شعراء الشام وتفضيلهم على شعراء سائر البلدان، وقد خصَّ هذا الباب بذِكر الأدلّة على تفضيلهم والسبب في تبريزهم.

٢- في الثاني: جاد بطرائف من أخبار سيف الدولة وملح من أشعاره، ويظهر أنه كان متأثراً به إذ أشاد بذكره والثناء عليه.

٣- في الثالث: ذكر أبا فراس وعُنيَ بأشعاره، فجمع منها جملةً صالحة هي أغلب ديوانه، ثم قسّمها أقساماً بحسب معانيها، وأفرد لقصائده الروميات قسماً خاصاً.

٤- في الرابع: ذكر آل حمدان وأشعارهم وطائفةً من شعراء الشام، فعدَّ فيه أربعة عشر شاعراً جلّهم من المغمورين.

٥- أفرد الباب الخامس لأبي الطيب المتنبي وتوسّع فيه جداً.

٦- في السادس ذكر الشعراء الثلاثة: النامي والناشي والزاهي، وإخراج غرر أشعارهم.

٧- في السابع تناول أبا الفرج عبد الواحد الببغاء، وغرر نثره وشعره.

٨- خصّ الثامن بذكر الخليع الشامي وأبي طالب الرقي الملقّب بالوأواء الدمشقي .

٩- في التاسع عمد إلى ملح أهل الشام ومصر ـ والمغرب والأندلس، وطرف من أشعارهم ونوادرهم، فعدّ خمسةً وستين شاعراً، كـ ابن وكيع و إسحاق الماردِيني، والقاضي أبو عبد الله محمد بن النعمان، والحسن بن خلاد، وأبي الحسن العقيلي، وابن الزيعي، وأبي العباس الكندي .. وغيرهم.

١٠- في العاشر أورد أشعار الموصلين، ولكنه خصَّ السري بقسم كبير منه، ثم ذكر الخالدين أبا بكر وأبا عثمان، وأتبعهما بأبي بكر بن الخباز، وعبيد الله البلدي .

القسم الثاني

في محاسن أشعار أهل العراق، وإنشاء الدولة الديلميـة من طبقات الأفاضل، وما يتعلق بهم من أخبارهم ونوادرهم، وفصوص من فصول المترسّلين منهم. في هذا القسم تسعةٌ وأربعون شاعراً.

القسم الثالث

في محاسن أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان من وزراء الدولة الديلمية وكتّابها وقضاتها وشعرائها، وسائر فضلائها، وما يُضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم . يضّم هذا القسم ثمانية وستين شاعراً.

القسم الرابع

في محاسن أشعار أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنوية والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق، والمتصرّفين على أعمالها، وما يُستظرف من أخبارهم، وخاصة أهل نيسابور والغرباء الطارئين عليها والمقيمين فيها. يضمُّ هذا القسم مئةً وأربعة وعشرين شاعراً،

بالإضافة إلى ثمانية شعراء ذكرهم الثعالبي ولم يورد لهم شعراً، وقد علّلَ ذلك بأنه لم يحضره شيء من قولهم.

يبدو من اليتيمة تأثّر الثعالبي بطبقات الشعراء لابن سلّام؛ فقد قسّم كلّ قسمٍ إلى عشرة أبواب، ويُعدّ القسم الأول أكبر الأقسام وهو يتضمّن تفضيلات الثعالبي إذ خصّ شعراء أهل الشام بهذا القسم، ففضّلهم على سواهم على نحو ما سنبيّنه لاحقاً.

تتمّة اليتيمة

لقد أفصح الثعالبي عن مقصده من اليتيمة، واردف أنه سيعدّل ويبوّب ما اقتضت الحاجة مع تقدّم الأحوال الأدبية والمعرفيّة، وقد وضع تتمة اليتيمة ليستكمل مشروعه التوثيقي النقديّ، فقد ذيّل اليتيمة بذيول كثيرة كان منها الكتاب المشهور " دمية العصر "، وكان أولّها كتاب سمّاه " تتمة اليتيمة "، وقد ذكره الكلاعي في أحكام صنعة الكلام[1]، كما ذكره ابن

[1] أحكام صنعة الكلام، ص ٢٣٣.

قاضي شهبة الأسدي في طبقاته باسم " يتيمة اليتيمة "[1]، وقد ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء[2]، وقد ذكره السبكي أيضاً في طبقاته[3]. طُبعت " تتمة اليتيمة " في إيران سنة ١٣٥٣ هـ، بتحقيق عباس إقبال، وتقع في جزأين.

[1] طبقات النحاة واللغويين، ٢ / ٣٨٧.

[2] معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى ٦٢٦هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م. ورد اسم " تتمة يتيمة الدهر " في معرض الحديث عن " البحائي " وياقوت يشير بذلك إلى ورود اسم : أبو جعفر محمد بن إسحاق البحائي. في تتمة اليتيمة عند الثعالبي. فقد أورد الثعالبي له أبياتاً من الشعر نقلها ياقوت إلى معجمه عن الثعالبي في تتمة يتيمته. يُنظر: ٦ / ٢٤٣٠.

[3] طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ٧٢٧ - ٧٧١ هـ، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحاو، الناشر فيصل عيسى البابي الحلب، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م، ورد اسم التتمة في أبيات شعرية للثعالبي استشهد فيها السبكي في معرض حديثه عن إسماعيل أبي عثمان الصابوني، يُنظر: ٤ / ٢٨٥.

الفصل الثاني

الرؤية الأدبية والمنهجية في اليتيمة

الغرض من التأليف

مراحل التأليف

منهجه النقدي

الرؤى النقدية حول الثعالبي

أهمية العمل النقدي للثعالبي في "اليتيمة"

الخاتمة

الرؤية الأدبيّة والمنهجية في اليتيمة

يُعدُّ كتاب يتيمة الدهر(اليتيمة اختصاراً) من أشهر كتبه، فقد جمع فيه نتائج قرائح الشعر والأدباء والمترسّلين من بلاد الشام ومصر والمغرب .. وبهذه السّعة الجغرافية يُعدُّ الكتاب مصدراً هاماً في الجمع والتّقصي، ويتّضح من خلاله عمق نظرة الكاتب وسعة اطّلاعه، والجهد الذي بذله لإنجازهِ، لقد كان له فيه بصمة أدبيّة بيّنتِ الغاية والهدف من التأليف، كما أظهرت مراحل التأليف التي انتهجها، إضافة إلى منهجيّة نقديّة اتّسم بها جمعت كلّ ماسبق. تلك المنهجيّة النقدية كانت محطّ جدلٍ حول الكيفيّة التي توخّاها في كتابه، إلا أنه برّر أكثر ما فعله بتبريرات وتوضيحات أغنت العذر، وبرّأته من ما سمّاه بعض النقّاد" التناقض" الذي اعتراه في التبويب والتفضيل.

الغرض من التأليف

كان الثعالبي مُعجَباً بأشعار معاصريه أيّما إعجاب حتى وصف تلك الأشعار بأنها " تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز، ومن حدّ الشعر إلى السحر "[1]، فنَدَبَ نفسه للاضطلاع بهذا العبء، كما أنه وجد المصنّفين قد اعتنوا بشعر القدماء ولم يتطرّق أحد لمحاسن أهل العصر، وقد أشار في مقدمة كتابه إلى هذا فقال: " وقد سبق مؤلّفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم، وتدوين كلماتهم، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم، فكم من كتابٍ فاخِر عملوه، وعِقْد باهر نظموه، لا يشينه الآن إلاّ نبو العين من إخلاق جدته، وبلى بردته، ومج السمع لمرداته، وملالة القلب من مكرراته، وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رواء الحداثة، ولذّة الجدة، وحلاوة قرب العهد، وازدياد الجودة على كثرة النقد، غير محصورة بكتاب يضمّ نشرها، وينظم شذرها، ويشدّ أزرها، ولا مجموعة في مصنّف يقيّد

[1] يتيمة الدهر، ص ٥.

شواردها، ويخلِّد فوائدها، وقد كنت تصديت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمائة، والعمر في إقباله، والشباب بمائه .. وكتبته في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه، ولا تتسع لتوفية شرطه، فارتفع كعجالة الراكب، وقبسة العجلان، وقضيت به حاجة في نفسي، وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه، والمنتسخين يتداولونه.. فاختلست لمعة من ظلمة الدهر، وانتهزت رقدة من عين الزمان، واغتنمت نبوة من أنياب النوائب، وخِفة من زحمة الشوائب، واستمررت في تقرير هذه النسخة الأخيرة، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة، بعد أن غَيَّرتُ ترتيبها، وجددت تبويبها، وأعدّت ترصيفها، وأحكمت تأليفها. وصار مثلي فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه .. "[1]. وقد صنَّف المؤلف كتابه مرتين الأولى سنة ٣٨٤ للهجرة وهو في مقتبل الشباب، ثم أعاد النظر فيه أخرى، وغيرَّ ترتيبه وجدّدَ تبويبه حتى ارتضى له ما تتصفحه في يومنا هذا، وقد ذكر في " تتمة اليتيمة " أن المرحلة الثانية كانت في ٤٠٣ هـ.

[1] السابق، ص ٢٦- ٢٧ - ٢٨. ويُنظر: نفسه بتحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر ١٩٥٦ م- ١٣٧٥ هـ، ١ / ٤،٥،٦ ..

مراحل التأليف

لقد كان للثعالبي منهجية متباينة في تناوله لكتابه المُسمّى باليتيمة، وقد بيّن الثعالبي في مقدمة يتيمته منهجه وأغراضه، وتحدّث عن نسخته الأخيرة التي قام بها بعدما وصل إلى سن الحكمة والرأي على حدّ وصفه، فقال: " والشرط في هذه الأخرى – يقصد هنا نسخته الثانية والأخيرة - إيراد لبّ اللب، وحبة القلب، وناظر العين، ونكتة الكلمة، وواسطة العقد، ونقش الفص، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحاسن والسرقات، وأخذ في طريق الاختصار، ونبذ من أخبار المذكورين، وغرر من فصوص [فصول] المترسلين، يميل إلى جانب الاقتصار. فإن وقع خلال ما أكتبه البيت والبيتان - ممّا ليس من أبيات القصائد، ووسائط القلائد - فلأن الكلام معقود به، والمعنى لا يتم دونه، ولأنّ ما يتقدمه أو يليه مفتقر إليه، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير، أو إمام

من أهل الأدب والعلم كبير، إنما ينفق مثل ذلك بالانتساب إلى قائله، لا بكثرة طائله .."[1].

منهجه النقدي

لقد تقصّى شعراء تلك الحقبة بدقة تفوق الوصف، فلو قال أحدهم بيتاً واحداً من الشعر لما أغفله من تدوين اسمه في الكتاب، كما أنه هناك شعراء لم يرد ذكر اسمهم في كتب أخرى لقلة نتاجهم، لكنّ الثعالبي لم يغفلها إمعاناً منه في الدقة والمتابعة، لذلك سُمي هؤلاء المقلّين بشعراء اليتيمة (نسبة لكتاب الثعالبي). إنّ النتاج الأدبي والفكري هو مرآة عصره، وجاء كتاب الثعالبي بما فيه من أسماء وأخبار ليعطينا انطباعاً عن تلك العصور، ولتغطية رقعة واسعة من الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية في تلك الحقبة. لقد ألّف الثعالبي كتابه على مرحلتين، كانت الأولى في مرحلة الشباب والانكباب على الدرس، ولكنه في مراحل

[1] يتيمة الدهر، ص ٢٩.

لاحقة وبعد أن تبحَّر بالعلم عاود الكرَّة على كتابه يملي النظر، فيدقّق وينقّح ويزيد، وذلك نتيجة لتقدمه في ميدان المعرفة، وقد ذكر ذلك في مقدمة الكتاب، وذلك أنه لمّا رأى انتشار الكتاب، وما لقيه من استحسان، أعاد النظر فيه بعدما وقف على سنِّ الحكمة والتبصر، يقول: " وقد كنت تصديت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمائة، والعمر في إقباله، والشباب بمائه، وكتبته في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه، ولا تتسع لتوفية شرطه .." [1]، ويقول: " فجعلتُ أبنيه وأنقده، أزيدهُ وأنقصُهُ، وأمحوهُ وأثبتهُ، وأنتسخه ثم أنسخه، وربما أفتتحه ولا أختتمه، والأيام تحجز، وتعد ولا تنجز، إلى أن أدركت عصر السنّ والحنكة ..، فاختلست لمعة من ظلمة الدهر، وانتهزت رقدة من عين الزمان .. واستمررتُ في تقرير هذه النسخةِ الأخيرة، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة، بعد أن غيرت ترتيبها، وجدّدتُ تبويبها، وأعدت ترصيفها، وأحكمت تأليفها "[2]. لقد وجد أسماءَ تستحق الذكر، واستجدت له أشياء

[1] السابق، ص ٢٦.
[2] نفسه، ص ٢٧ – ٢٨.

كثيرة تستحق التدوين، فعاد في المرحلة الثانية ودوّن ما استجدَّ لديه من معارف، فوضع كتاباً سماه " تتمة اليتيمة ". وقد لاقى كتاب الثعالبي (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) انتقادات من بعض النقّاد، شأنه في ذلك شأن غيره في ميادين الحقل النقدي، فقد وُجّهت له بعض الانتقادات، ربّما كان بعضها مجحفاً بحقه إذاما نظرنا إلى الأمر بعين العصر- سياسياً واجتماعياً وأدبياً، وذلك تماشياً مع الرؤية السائدة آنذاك، من حيث روح العصر الكتابية والتدوينية.

لم يعن الثعالبي بترجمة للشعراء، بل حاول تحديد الحياة الأدبية لحقبة ما، فلم يدرسها دراسة أدبية وافرة تستقصي مجمل المواضيع النقدية، وقد قدّم بعض التسويغات والمبرّرات لما قدّمَهُ في يتيمته، ولما يريده من المقاصد التي كانت وراء جمع موضوعات الكتاب، حيث قصدَ إلى رصد أجمل ما قاله هذا الشاعر أو ذاك فيما يراه، لكنه لم يبتعد تماماً عن الرؤية النقدية، ولم يخلُ كتابه من شذرات نقدية يومض بها إلى آرائه، وهذا ما فعله الثعالبيّ عندما توقّف عند المتنبي، فما من دارس يقرأ المتنبي إلا ويقف

عند مأثور قوله، وبديع لفظه، وذلك للعمق الفني والفكري الذي كان يثيره المتنبي في أدبه، فقد تعرّض لقضايا فنية وأدبية مازالت محطّ جدلٍ بين النقّاد والأدباء، والثعالبي بطبيعة الحال فعل كغيره من الأدباء، ووقف قليلا عند مالئ الدنيا وشاغل الناس (المتنبي)، ووقف بشكل أقلّ عند غيره، فنراه يقارن ويعلّق ويصدر أحكاماً نقدية وأدبية. وقد عقد الباب الخامس في القسم الأول للحديث عن المتنبي وأشعاره، وتوسّع في هذا الباب، وقال في بداية الباب في معرض حديثه عن المتنبي: " ماله وما عليه "، فتوقّف عند أشعاره وبعض أخباره، يقول: " وأنا مورد في هذا الباب ذكر محاسنه ومقابحه، وما يرتضى ـ وما يستهجن من مذاهبه في الشعر وطرائقه، وتفصيل الكلام في نقد شعره، والتنبيه على عيونه وعيوبه .." [1]، ثم شرع في الحديث عن المتنبي وإيراد أشعاره وبحورها، وتحدّث في نفس الباب عن النماذج الشعرية التي سرقها منه آخرون، على نحو ما فعل أبو الفرج الببغاء في قوله:

[1] يتيمة الدهر، ص ١٤٠.

يا من يحاكي البدر عند تمامه ارحم فتىً يحكيه عند محاقه

وهذا مأخوذ من قول المتنبي:

وقد أخذ التام البد فيهمْ وأعطاني من السّقم المحاقا [1]

وأورد عدة نماذج لهذا الفعل، كأخذِ المهلبي الوزير والصاحب من أشعار المتنبي أيضاً، كما ذكر بعض سرقات المتنبي على نحو ما أخذه من مخلد الموصلي، نحو قول المتنبي:

ما زال كلُّ هزيم الودق ينحلها والشوق ينحلني حتى حكت جسدي

وهو مأخوذ من قول مخلد الموصلي:

ما ترك الدّهر منك إلّا ما ترك الشوق من عظامي

وكذلك ما أخذه المتنبي من عمرو بن كلثوم[2].

---

[1] للاستزادة في هذا الموضوع يُنظر: السابق ص ١٥٩ ومابعدها (المحاقا: سرار القمر وخفائه).

[2] نفسه، ص ١٦٤ وما بعدها.

الرؤى النقدية حول الثعالبي

ورد اسم الثعالبي من بين النقّاد المتفاوتين الذين اتخذوا من المتنبي محوراً لدراساتهم، وذلك في معرض حديث الدكتور إحسان عباس عن نقد المتنبي والجدال النقدي الدائر حوله، فوقف عباس عند الثعالبي متسائلاً: أين يقف الثعالبي في النقد؟ ليخلص إلى قوله: " لا يعد الثعالبي في النقاد، لأن كتبه التي تتصل بالشعر لا تتصور إلا ذوقاً فردياً خالصاً، من العسير تبين أساس نقدي له، سوى إعجابه باللون الحضري في أشعار معاصريه، على تباين تلك الأشعار في موضوعاتها وصياغتها، وعلى الرغم من أنه ذكر شعراء عصره في اليتيمة، وهي أوضح كتبه من حيث الأسس النقدية على حسب الأقاليم "[1].

من وجهة نظرنا النقدية إن الثعالبي اعتمد على تذوّقه الفردي في الانتقاء أو إيراد الشروح والآراء، وهذا ماقصد إليه أساساً، فقد جمع في يتيمته ما

[1] تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م، ١ / ٣٧٤.

انتهى إليه الشعر من رؤية تاريخية، أما من الناحية النقدية والتذوّقية فقد أورد وطوّل ما استساغه مُبيّناً أسباب ميله إلى هذا الضرب الشعري دون غيره، فهو يعلّل على سبيل المثال تقدّم أشعار أهل الشام عن أهل العراق لأسباب جغرافية فحواها قربهم من أهل الحجاز وبُعدهم عن أهل العجمة وفساد الألسن الذي تعرّض له أهل العراق بسبب قربهم من الفرس والنبط. يتوقف د. إحسان عباس عند هذا التعليل، فهل السبب جغرافي ؟ إذن لماذا خلط في جمعه بين أشعار أهل الشام والمغرب ومصر والأندلس في ترجمة واحدة ؟[1]. على مايبدو انكفأ الثعالبي على فرديّة في إطلاق الأحكام، أو أنها كانت رائجة في وقته فاتَّبعها، ولكن هذا لايضعه في الزاوية الضيقة التي أراد د. عباس أن ينوّه لها، فالسبب – وإن كان جغرافياً – إلا أنه لايعني انفصال الرؤية مابين أهل الشام وأهل المغرب ومصر؛ هو أراد التنويه لبقعة جغرافية أثّرت عليها الألسن الأعجمية الفارسية وغيرها، ففقدت شيئاً من طلاوتها وفطرتها، وإن جمع أهل

[1] السابق، ١ / ٣٧٤.

الشام مع أهل مصر والأندلس – وإن شابه تناقضاً قياساً للرأي الجغرافي النقدي بخصوص أهل العراق – إلا أنه لا ينفي رأيه النقدي في الجغرافيا الشعرية لأهل العراق، وقد يكون الجمع الجغرافي بين أهل الشام وأهل مصر والأندلس عائداً لذائقته الأدبية من دون أن يفصّل فيها من أسباب الفتور أو التراجع على نحو ما أورده عن أهل العراق، كما أنه عزّز آراءه بتقديم شعراء أكفّاء، ولعلّ الثعالبي متأثر هنا بأستاذه الخوارزمي الذي كان معجباً بأشعار أهل الشام عندما كان ببلاط سيف الدولة الحمداني في حلب، وقد افتتن الثعالبي بما أخذه عن أستاذه، وتأثر باتباع لطائفه، واستحسان ما استحسنته ذائقته، وكذلك تأثر الثعالبي بالصاحب بن عباد الذي أُعجب هو الآخر بأشعار أهل الشام وطرائقهم الفنية[1]، ولم يرق هذا التفضيل للدكتور زكي مبارك على الرغم من أنه وضعه من بين طلائع الكتاب والمتبحِّرين، ولكنه يرى الثعالبي سطحيَّ الأحكام، وقليلَ التعقيبات " على الكتَّاب والشعراء، فإذا بدا له أن يعلّل ويحلّل وينقد،

[1] يتيمة الدهر ، ص ٢٥.

فعل بلا تعمّق .."[1]، كما أن محي الدين عبد الحميد في تحقيقه لليتيمة عاب عليه تجاوزه لشعراء سائر البلدان، وإن هذا العيب حسب عبد الحميد يغطّي على كل محمدة " فالثعالبي لم يكتف بتقديم شعراء الشام على كل من ذكرهم في كتابه، ولم يكتف بتقديمهم على كل من ذكرهم في القسم الأول منه .. بل يفضّلهم على شعراء سائر البلدان .."[2]، كما عاب عليه تعليله بأن بلاد العراق قريبة من بلاد الفرس مما أثّر على لسانها الفصيح، في حين غاب عنه قرب بلاد الشام من الروم، وهذا يوقع الثعالبي في التناقض، كذلك تجاهله لسائر البلدان وعقده المفاضلة بين الشام والعراق[3]، ولعلّ العوامل السياسيّة غابت عن محي الدين عبد الحميد فيما لو رأيناها من زاوية علاقة الفرس بالعراق، ومن زاوية علاقة الشام بالروم، فالاختلافات السياسية والحروب أو السلم أو إقامة العلاقات

---

[1] النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د. زكي مبارك، مطبعة دار الكتب – مصر، ١٩٣٤ م – ١٣٥٢ هـ، ٢ / ١٨٨.

[2] يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، الثعالبي، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر ١٩٥٦ م – ١٣٧٥ هـ، دار الفكر – بيروت ١٩٧٣ م – ١٣٩٣ هـ . مقدمة المحقق ١ / ٩.

[3] نفسه، ١ / ٩.

بين الأطراف تختلف مابين العراق والشام، فالجبهة الشرقية كانت وطيدة ساكنة على خلاف المناورات على أطراف الروم، وبطبيعة الحال فإن اعتماد العراق مركزاً للخلافة ومن قبلها الشام جعل منهما مركزاً للعلم ولتسابق الأدباء على أبواب الخلفاء، الأمر الذي جعل وضعهما على رأس القائمة من أولويات الثعالبي، فقد شهدت كلّ منهما قفزة أدبية وفكرية ما تثنّت لغيرها من البلاد كونهما مراكز خلافة وعواصم سياسية وثقافيّة، ونقف هنا مع الدكتور شكري فيصل عندما ناقش تفضيلات الثعالبي وتقديمه أهل الشام على سواهم فنيّاً، فالثعالبي – حسب د. فيصل – أراد الالتفات إلى المحدثين " فقد وجد أن العناية بالقدماء قد استنفذت كثيراً من الجهود، وغلبت على كثير من الكتب .. فكان لابد من هذه النسخة التي تجمع بدائع أعيان الفضل، ونجوم الأرض من أهل العصر، وقد كان يسع الثعالبي أن يصنف هؤلاء الشعراء المحدثين في طبقات تبعاً للإجادة .. لكنه آثر أن يبتدع هذا التصنيف الذي يتمشّى مع الأقاليم،

ويوحّد بين الشعراء وبين البيئات التي وجدوا فيها غذاءهم الروحي "[1]. كما أنه علينا الأخذ بعين الاعتبار مراحل الترتيب والتبويب، فالثعالبي استغرق وقتاً على مراحل في جمع مادته، وكان قد صرّح أنه سيعدّل ويحذف ويغيّر ما اقتضت الحاجة لذلك، وقد صرّح أن يتيمته في شكلها الأخير ستكون لبّ اللباب أو ما يسميه واسطة العقد[2]، ونظراً للظروف السياسية السائدة حينذاك فإن هذه الاعتبارات ترد على خاطر من يتعرض لمنهج الثعالبي النقدي، وهذا ما أشار إليه شكري فيصل، ودعا للتساؤل فيما لوكان الثعالبي استجاب سياسياً أو أدبياً لتصنيفه هذا، وارتأى فيصل أنه لزام علينا معاينة مؤلفات الثعالبي الأخرى، وبالتالي سنجد أن تصنيفه هنا وتفضيله لشعراء الشام عائداً إلى القسمة الإقليمية وليس السياسية السائدة آنذاك[3].

---

[1] مناهج الدراسة الأدبية، د. شكري فيصل، مطبعة دار الهنا، بولاق – القاهرة ١٩٥٣ م – ١٣٧٣ هـ، ص ١٦٩ – ١٧٠.

[2] يُنظر: يتيمة الدهر ، مقدمة المؤلف في معرض حديثه عن مراحل وأسباب جمعه للكتاب.

[3] مناهج الدراسة الأدبية، للاستزادة: ص ١٧٠.

أمّا محمد مندور فقد قلّل من شأن العمل النقدي لدى الثعالبي مشيراً إلى تلك الأشعار التي تكرّر معناها، كما تكرّرت ألفاظها ودلالاتها، وهذا ما يوحي – حسب مندور – إلى امتلاء قلب الشاعر بها، وما يتبع ذلك من دلالات وغايات لم يتطرّق إليها الثعالبي، وكذلك قضايا أخرى تتعلق بسرده لبعض الآراء النقدية، فما ذكر الثعالبي سنده هو واضح بيّن، أمّا مالم يسنده لمنقول عنه فهو لايعني نسبته للثعالبي، وكأن مندور يريد من ذلك أن الثعالبي انتابه شئ من التدليس، وأن الآراء التي بدت وكأنها بلسان الثعالبي ربما ليست له، أو كما يقول:" لأنه ربما يكون قد أخذه من نقّاد ضاعت كتبهم "[1]. من الواضح أن آخر قول لمندور يُظهر تحامله النقدي غير المبرّر، فلو أن الثعالبي نقل عن السابقين وأسند إلى كل صاحب رأي رأيه فما الغرض من أن يترك بعضاً منها بغير إسناد؟. والثعالبي في منهجه نقل عن السابقين وأظهر بصمته، وأدلى برأيه بغض النظر عن هذا الرأي اعتباطياً أو انطباعياً تذوّقياً أو سوى ذلك،

[1] النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، مطبعة نهضة مصر، الفجالة – القاهرة، ١٩٤٨م، ص ٣٠٤.

فالقضية أن مندور ينكر عليه آراءه، ثم إن وضع الثعالبي وهو ابن القرن الرابع للهجري في ميزان القرن الحديث نقدياً ليس من الحكمة النقدية، وإن غياب شرحه لتكرار الدلالات والمعاني والبُنى اللغوية والمعنوية عند شاعر من الشعراء هي من بناة الدرس اللغوي الحديث مما لم يتطرّق له النقّاد القدماء بذات المسميات والتعريفات التي درج النقد الحديث على استعمالها، ولكن إشارة الثعالبي إلى حياة الشاعر وجغرافيَّته، وتقسيمه للأشعار يدلّ على سعة استيعابه للظروف المصاحبة ثقافياً واجتماعياً وجغرافياً، وهذا ما فات محمد مندور، وقد يكون الثعالبي استطرد وغيّر من شرطه في التبويب والترتيب، السبب الذي جعله يخلّ بالشرط حسب الرأي المجحف للدكتور إحسان عباس واصفاً إياه " بحبة الخرز الرخيص "[1] تعليقاً منه على قول الثعالبي إن يتيمته ستكون " واسطة العقد "، وهذا لايضع الثعالبي محط الاتهام النقدي سيما أن الدكتور عباس يصرّح أنه توقّف عند الثعالبي لضرورة المقام في معرض تناوله

[1] تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ١ / ٣٧٥.

للحركة النقدية حول المتنبي، يقول: " ولكنا نتحدث عن الثعالبي - في هذا المقام - لأنه عقد في كتابه فصلاً عن المتنبي، يُعدُّ كتاباً قائماً بنفسه، وهو مختلف عن بقية فصول الكتاب، بما حوى من مادة نقدية؛ فالثعالبي معجب بالمتنبي "[1]. هذا القول للدكتور عباس يتّضح منه أنه ينفي السطحية النقدية عند الثعالبي، فإذا كان فصل المتنبي كتاباً نقدياً قائماً بنفسه إذن لا يُعتدُّ بالانطباعية التذوّقية فيما سبقه من أبواب كتاب اليتيمة، وهذا يدلّ على تذوّق الثعالبي للمتنبي نقديّاً وإفراده له مادة نقدية تدلّ على مجاراة الثعالبي لنقّاد عصره، ولضلوعه في هذا الشأن، وقد تكون الأبواب الأخرى عرضاً تاريخياً ليس إلا، وهذا يشير إلى أن الناقد لم يعن بكتاب اليتيمة كدراسة نقدية مستقلة تتضح من خلالها آفاق أكثر لهفوات الثعالبي أو تغييره في محتوى الترتيب، ولكن عندما اقتضت الحاجة لأن يتحدث عن رأيه النقدي كان ماكان في الباب الذي عقده لأشعار المتنبي، فإذا كان ماورد ينفي السطحيّة النقديّة عند الثعالبي فإن

[1] السابق ٣٧٥/١.

إحسان عبّاس هنا يتبنّى ما نذهبإليه بشكل أو بآخر، كذلك ممّا يعزّز هذا القول أن إحسان عبّاس يعود ليقرّ بعدم سطحيّة الثعالبي عندما يعدّد مزايا نقد الثعالبي للمتنبي، فقد لفت انتباهه مميزات القراءة النقدية التي أجراها الثعالبي للمتنبي قائلاً [1]: وتمتاز دراسة الثعالبي بأشياء جديدة لم نجدها فيما أُلِّف عن المتنبي من قبل، منها:

(١) معانيه التي حلها الكتاب في رسائلهم، مثل الصاحب والصابي والضبي والخوارزمي.

(٢) نماذج من المعاني التي سرقها منه الشعراء.

(٣) المعاني التي كررها في شعره.

(٤) التوسع في ضروب محاسنه، وفي هذه الناحية لم يقف عند حدود حسن المطالع والخروج والتخلص بل لمح أشياء في الموضوع أجاد فيها المتنبي.

[1] تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ١ / ٣٧٥.

أمّا محمد زغلول سلام فيرى أن الثعالبي لم يأت بجديد حول الآراء المتعلّقة بالمتنبي بما فيها وصفه للمتنبي بضعف العقيدة، وهذا إيماء من زغلول سلام إلى القاضي الجرجاني الذي تناول عقيدة المتنبي، وأن الثعالبي فيما معناه تبع الجرجاني كوقع الحافر على الحافر[1]، وعاب عليه طه حسين عدم ترجمته لم وردت أسماؤهم في اليتيمة، وهذا يخفي أثر حياتهم في أدبهم، واكتفى بالإطراء وإطلاق الأحكام الشخصيّة[2]. وهذا يتقارب مع رؤية جرجي زيدان في أن الثعالبي أغفل الوفيّات، واكتفى بإيراد الأمثلة[3]، كذلك رأى هذا العيب النقدي من الأخطاء الكبيرة لدى الثعالبي الدكتور زكي مبارك، فقد أورد بعض النقاط السلبيّة لليتيمة ومنها إغفال الوفيّات، وهذا " من أقتل عيوب اليتيمة .. ولو أن الثعالبي عني بتدوين الوفيّات لأدّى

[1] تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري، محمد زغلول سلام، مطبعة دار المعارف– مصر (بدون تاريخ)، ص ٥١.

[2] الذخيرة في محاسن أهل الجزير، تأليف أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ)، تحقيق لجنة برئاسة الدكتور طه حسين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م. المقدمة ص: ج.

[3] تاريخ آداب اللغة العربية، ٢ / ٣٢٠.

لتاريخ الأدب حقاً من أوجب الحقوق "[1]. الثعالبي وقع في بعض الهفوات النقديّة، ولكن هذا لايُعدّ وثيقة إنكار جليل عمله، وعظيم فضله، وإن إغفاله لترجمة الوفيّات يتأسس على أن الثعالبي كان يتجه إلى مقصدية تاريخية أدبية لحقبة ثقافية عاصرها، وقد بيّن في تبريراته غرضه الأصليّ من الكتاب، فلم تكن الغاية تاريخيّة بحتة بقدر ماكان تاريخيّة أدبيّة نقديّة ثقافيّة، وفي كلّ الأحوال يُعدّ هذا التقصير هفوة دراسيّة نعزوها إلى ظروف الكاتب في الترحال والتنقّل، وانشغاله بما هو أهمّ ممّا يخدم الغرض، ويؤدّي الوظيفة، ولو أنه فعل والتفت إلى الدّقة في تراجم الأدباء لكان عملاً مكتملاً من كلّ النواحي. وإن النقطة التي أراد منها كلّ من طه حسين وزغلول سلام تحوم حول أن الثعالبي اجترَّ غيره، وأغفل حياة الشعراء الوثيقة الصلة بأدبهم، إلا أن الثعالبي - وإن تعرّض لآراء غيره حول بعض النقاط كضعف عقيدة المتنبي - أضاف من رؤيته و استفاض في حديثه عن المتنبي، وذيّل الأمثلة بآرائه النقدية، وذكر ما استعذبه وما

[1] النثر الفني، ٢ / ١٩٠.

عابه عليه مثل تكراره في شعره وقبح مطالعه، وإتباع الفقرة الغرّاء بالكلمة العوراء، واستكراه اللفظ وتعقيد المعنى، وعسف اللغة والإعراب، والخروج عن الوزن، واستعمال الغريب الوحشي، والركاكة باستخدام ألفاظ العامة والسوقة، وإبعاد الاستعارة، والإفراط في المبالغة، وإساءة الأدب بالأدب، والخروج عن الشعر إلى الفلسفة، وقبح المقاطع .. وغير ذلك، كما تطرّق الثعالبي لمآثر شعره وإبداء وجه الإبداع والرونق والجمال، كـ حُسن المطالع، وحُسن الخروج والتخلّص، وحُسن التصرّف في الغزل، وحُسن التشبيه، والإبداع في التشبيهات والتمثيلات، والمدح والإبداع في سائر مدائحه، ومخاطبة الممدوح من الملوك بمخاطبة المحبوب والصديق مع جودة في الإبداع، واستعمال ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب، وغير ذلك، وفي كلّ هذا يورد الثعالبي الأمثلة والتعليقات والتبريرات في مواطن الضعف أو القوة، ومواطن الجمال أو القبح، وقد أفرد ما يقارب مئة وأربعين صفحة للاستفاضة في الحديث عن المتنبي [1]. لقد أثنى محمد

[1] يتيمة الدهر، للاستزادة انظر الباب الخامس يبدأ من الصفحة ١٣٩، وينتهي ص ٢٧٧، تناول فيه المؤلف كل مايتعلق بالمتنبي.

زغلول سلام على جهد الثعالبي المتعلق بالمتنبي قائلاً: " والجديد في ترجمته أنه أقامها على أساس منهجي متكامل، فعرض للصلة بين حياته وشعره .. ثم في صلته بسيف الدولة .. وخرج عن علاقات شعره بحياته، ونفسه ومزاجه .."[1]. هذا ما لفت انتباه نقّاد العصر الحديث ومنهم الدكتور إحسان عباس مُلخصاً تميّز الثعالبي في دراسته للمتنبي، في حين أنه يرى تعداد الثعالبي لعيوب المتنبي مستمدة من رسالة الصاحب بن عباد، يقول: " أما حديثه عن عيوبه فأكثر اعتماده فيه على رسالة الصاحب ولذا تجده عدّ من عيوبه: قبح المطالع وإتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء "[2]، وقد حاول الثعالبي ألا يتجاهل الدين والعقيدة في التدخلات الأدبية، وهذا ماعابه على المتنبي، وقد استمدَّ ذلك من رأي القاضي عندما تطرّق لموضوع العقيدة نافياً أن يكون لها أثر في جودة أو رداءة الشعر، لكن الثعالبي اتَّخذ رأياً مخالفاً عندما تحدّث عن ضعف العقيدة عند المتنبي، مؤكداً أن للإسلام حقوق أخلاقية تستدعي " الإجلال

[1] تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري٥١– ٥٢.
[2] تاريخ النقد الأدبي عند العرب ١ / ٣٧٦.

الذي لا يسوغ الإخلال به قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً.."[1]. ويرى " رينولد نيكلسون " أن نقد الثعالبي للمتنبي هو نقد عادل، وهو مصدر مهم لمن يريد معرفة المتنبي، يقول: " إذا أُريد الوصول إلى تقدير عادل لشاعر سيف الدولة، يجب الالتجاء إلى ناقد عربي يكشف لنا أسرار المتنبي، والثعالبي بيتيمته خير من يكفل لنا ذلك، وهو يقدّره حقّ قدره في كتابه القيّم "[2]. ويراه الدكتور مصطفى الشكعة من النقّاد الفضلاء عطاءً وفائدةً، فقد أهدى " إلى المكتبة العربية أكبر قدر من الكتب الأدبيّة الخالصة بمعناها المعاصر "[3].

لقد تمتّع الثعالبي بنظرة نقدية شاملة للانطباعية النقدية والتذوّق الأدبي عنده، والاستساغة والتفضيل بين مقتضيات هذا الانطباع النقدي نجد الموسوعية في تناول مفردات الكتاب بشكل عام، فهو مبنيٌّ بوجه عام على خبرة واسعة، واطّلاع عميق ومهارة في تعريف القارئ بما وصل إليه

---

[1] يتيمة الدهر، ص ١٨٤.

[2] تاريخ الأدب العباسي، رينولد نيكلسون، ترجمة صفاء خلوصي، المكتبة الأهلية – بغداد ١٩٦٧ م، ص ٦٧.

[3] مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص ٢٧٩.

الشعر في عصره عن طريق ترجمته لكثير من شعراء العربية، ولولا هذا الجهد الواضح لضاعت أشعار بعضهم، وإن اعتماده على جمع المادة من المصادر لايجعلنا أن نصفه بأنه فرّاء " يخيط آراء غيره بعضها إلى بعض، فهو جامع أكثر منه ناقداً "[1]، على نحو ما أورد محمد مندور؛ ذلك أن الكتاب يُطلع القارئ على الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية في تلك الحقبة، وقد أولى عناية بردّ المصادر إلى منبعها، وإن طبيعة المادة المقصودة من الجمع قد جرّت الثعالبي إلى الانطباعية والانتقائيّة النقدية على عكس مايصفه مندور بأنه فرّاء يخيط آراء غيره مع بعضها بعضاً، وإن مردّ هذا الرأي يعود إلى وقوف مندور عند دراسة الثعالبي للمتنبي، ولو أنه أطلق الحكم من خلال ما رآه في اليتيمة لكان جوابنا ما ورد آنفاً، ولكنه أطلق حكماً شاملاً بإخراج الثعالبي من مجتمع النقّاد، وفي واقع الأمر أن أكثر من عاب على الثعالبي تناقضه في دراسته استندوا إلى الباب الذي تناول فيه المتنبي، وهذا ما وقف عنده مندور وعابه عليه لأنه أطال

[1] النقد المنهجي عند العرب، ص ٣٠٢.

في فصل المتنبي على عكس الباقين، وجلّ ما أورده هو نقلاً عن آراء غيره، وقد قلنا سابقاً إن الثعالبي مولعٌ بالمتنبي، وإن استناده لآراء النقّاد حول المتنبي لايُعابُ عليه إفراده فصلاً مطوَّلاً للمتنبي ليجعلنا نصفه بضعف الشخصية على حد قول محمد مندور " إن الثعالبي ضعيف الشخصية، حتى لنكاد نجزم بأنه لا رأي له في شئ، وإنما هي انتقادات الصاحب والحاتمي .."[1]، وهذا لايعطي دليلاً على ضعف الشخصية، وإن اجترار آراء النقّاد سيما مايتفق معه الدارس لا تعني بحال من الأحوال أن الدارس لا رأي له.

التزم الثعالبي الأسلوب المسجع وسار على غراره من ألّفوا بعده، وقد عدّ الدارسون هذا الكتاب من المصادر المهمة لكلّ دارسي الأدب والفكر واللغة، حيث قدّم مادة ثريّة للعصور والأحقاب تتضمن معلومات تاريخية واجتماعية وثقافية علاوة على ما تضمنته من لغة وأدب وفكر، ويُعدُّ الكتاب بحق مادة غنيّة، ومنبعاً مهماً للنهل منه، وإن الانطباعية النقدية

[1] السابق، ص ٣٠٢.

التي انتهجها الثعالبي مردّها إلى الغاية والهدف الذي أراد، فلم يكن القصد أن يفرد دراسة نقدية مستقلة كالتي أجراها في عقده باباً للمتنبي؛ وإنما أراد اختزال ما تمّ إنجازه من أشعار إلى زمن عزمه على التبويب، لذلك نلاحظ ندرة الدراسة النقدية من حيث الطول والقصر، وتفضيل هذا الضرب الشعري على ذاك، فقد رأينا أنه أولى اهتماماً لأشعار الغزل أكثر من غيرها سيما الاهتمام بالشاعر الوأواء الدمشقيّ، ولعلّ ذلك يعود لما كان سائغاً حينذاك، ولانتشار هذا الفن الشعري بين الذائقة الأدبية، فالمراد من ذلك مجاراة عصره، كما أن الآراء الواردة في ثنايا أبواب الكتاب يمكننا حملها على أنها إرهاصات لربط الأدب بعصره وجغرافيته، ومايتبع ذلك من هوية ثقافية لمصر من الأمصار، ولمّا كان تيار المجون الشعري ذائعاً في ذاك الزمان فإن الثعالبي لم يتجاهله في دراسته التدونية، فقد أورد نماذج ذلك، وتوقف ولو بشكل يسير ليبدي رأيه النقدي كتعليق واعتذار لنفسه وللقارئ، ويحيط ذلك بتبريراته النقدية معترضاً على شعراء المجون كابن سكرة وابن الحجاج قائلاً عن الثاني: " إنه في شعره لايستتر

من العقل بسجف، ولايبنى جلّ قوله إلا على سخف، ولولا أنَّ جد الأدب جدّ وهزله هزل -كما قال ابراهيم بن المهدي- لصنعت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن الحزم، ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل، ولكنه على علاته تتفكَّه الفضلاء بثمار شعره وتستملح الكبراء نبات طبعه، وتستخف الأدباء أرواح نظمه، ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه "[1].

من خلال إسقاطات الثعالبي الجغرافية والتاريخية نتلمّس بعض القضايا التي تحلّى بها النقد الأدبي العربي القديم عندما تناول إرهاصات تربط الأدب بالحالة الاجتماعية أو النفسية كما فعل ابن قتيبة الدينوري حينما تناول شعراء العربية في كتابه الشهير " الشعر والشعراء "، كذلك انتهج ابن سلام الجمحي في طبقاته خطاً يتداخل فيه الشعر من حيث الفحولة أوالليونة مع الظروف الثقافية المحيطة التي أنتجت شعر هذا أو ذاك، وكذلك الجانب العقيدي الذي يؤمن به شاعر ما، فقد أورد ابن سلام

[1] يتيمة الدهر، ٣ / ٣٥.

نماذج لشعراء من اليهود[1]، وإن هذه الإرهاصات النقدية جعلت الثعالبي واحداً من الملتفتين للنواحي الاجتماعية والنفسية والجغرافية، وقد وضعه الدكتور زكي مبارك بين طلائع الكتاب والأدباء من أهل الآراء والمذاهب نظراً لأن له اتجاهات نقدية نفسية تجعله قريباً من هذا المذهب التحليلي، إلا أنه – حسب مبارك – أقرب وأليق أن نصنّفه من بين كتّاب ودارسي النقد الأدبي[2]. تميّز جهد الثعالبي بالمنهجية التوثيقية من خلال توثيق الأشعار وتحقيقها، وهذا يؤصّل الأشعار، ويسندها إلى قائليها، وأشاد زغلول سلام به :" وهو موضوع متصل بأصالة الشعر وصحة نسبته لقائله من ناحية، ومتصل كذلك بقضية السرقة والانتحال من ناحية أخرى.. والثعالبي يهتم بإظهار بعض الخصائص والمعالم الفنية في شعر من يترجم لهم"[3].

[1] للاستزادة : اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، ص ٢٤-٢٥.
[2] النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ٢ / ١٨٠.
[3] تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري، ص ٥٢.

كما نلاحظ اهتمام الثعالبي بعرض أمثال من النثر، فلم يقتصر جمعه على الشعر فحسب، إنما أراد أن يكون شاملاً لعصره من حيث الأمثلة مولياً اهتماماً واضحاً بألوان النثر البديعي، والسجع اللفظي ليتجانس مع ماهو رائج في عصره، وتلك إشارة نقدية مهمة إذ لم يتجاهل الفن النثري، وعقد له بعض الأمثلة، ونلاحظ التأنق في الأسلوب، والمبالغة في المعاني، وذلك ينسجم مع ماشهده مطلع القرن الرابع للهجرة، فقد بدأ السجع اللفظي، والجناس والطباق بالانتشار في الرسائل السلطانية، ويعدّ ابن العميد من أوائل من نحا باتجاه هذه الطرائق اللفظية والأسلوبية، ثم تبعه عديد من الكتّاب ومنهم الثعالبي، وهذا ما نجده في كتاب اليتيمة، فقد تأنّق الثعالبي في أسلوبه، وبالغ في محسّناته البديعية ليجاري الزمان والمكان، على أنه كان في بعض نثره يبتعد عن الزخرف والسجع، بينما اعتمد في بعض تقديماته عن الأدباء على المقدمات المسجوعة، ولكنه في المجمل – مع التأثر الواضح بعصره – قد كان واضحاً في تقديم معانيه وإن بدت مُتكلّفة لفظياً، فقد تراوح بين البساطة، وبين التأنق والتلميع، ولعلّ هذا ما دعا

تلميذه الباخرزي إلى تلقيبه بـ " جاحظ نيسابور "، إذ عُرف عن الجاحظ خفّة أسلوبه، والتنقّل فيه تأنقاً أو بساطة بحسب مقتضيات الموضوع المطروق، وعلى حسب الرد أو العرض المرتبط بما سبقه أو بما سليحق به. والثعالبي كغيره مرّ بأشواط نقدية ودراسية، فالمُطَّلع على مؤلفاته اللاحقة في مراحله المتقدمة يلاحظ النضج الفني في التقديم والأسلوب، وفي إيراد المادة، ومع كل مرحلة ثقافية تنتاب عصره وسعة معرفته سنجد أسلوباً مختلفاً عن سابقه كدأب أي دارس نقدي قديماً أو حديثاً.

أهميّة العمل النقدي للثعالبي في " اليتيمة "

لم ينكر معشر النقّاد والأدباء قديماً وحديثاً أهميّة " يتيمة الدهر " النقدية والأدبية، وأثنوا على هذا الجهد الضخم في توثيق عصر أدبي بأكمله، وقد استشهد ياقوت الحموي بيتيمة الثعالبي كثيراً في معرض توثيقه للأدباء في معجمه، وقلّما نجد جزءً من الأجزاء السبعة لم يتم الاستشهاد والتوثيق من اليتيمة[1]، وأثنى ابن شهبة الأسدي على اليتيمة وعلى تتمّتها[2]، وكذلك ابن خلّكان في وفيات الأعيان، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى، وابن كثير في البداية والنهاية، ومن خلال دراسة كتاب الذخيرة لابن بسام عقد بعضهم مقارانات بين الكتابين (الذخيرة – اليتيمة)، وتفاوتت الآراء في ذلك، وبذلك يرى علي أدهم من خلال دراسته

---

[1] معجم الأدباء، يُنظر على سبيل المثال لا الحصر بعض أرقام هذه الصفحات، كما يمكن العودة لفهرس الأعلام والأدباء في فهرس الأجزء بتحقيق إحسان عباس : ٩٠ – ١١٤ – ١٣١ – ١٣٢ – ١٣٣ – ١٣٤ – ١٤٠ – ١٤١ – ١٧٥ – ١٨٢ – ٢٣٥ – ٢٤٤ – ٣٠٧ – ٤١٣ – ٤٨٥ – ٤٨٦ – ٤٨٧ – ٤٨٨ - ..... ١٢٠٦ .. ١٥٢٢... ١٨٨٧ ... ٢٢٨١ ... ٢٤٣٠ – ٢٥٠٦ .....

[2] طبقات النحاة واللغويين ، ٢ / ٣٨٧.

للذخيرة ومقارنته باليتيمة من خلال الإشارات والعبارة، أن ابن بسّام اقتفى نهج الثعالبي، فالثعالبي بارع في التأليف، وله مؤلّفات عدّة، في حين أن ابن بسام لا نعرف له إلا كتاب الذخيرة، وفيه التحق بركب الثعالبي " صاحب اليتيمة وجعله قدوة له وإماماً، فجرى على خطّته وسار على منهجه، واصطنع السّجع كما اصطنعه الثعالبي، واحتفل وتأنّق في تقديم الكتّاب والشعراء والإشارة إلى محاسنهم والتنويه ببراعتهم احتفال الثعالبي وتأنّقه في الحديث عن شعراء اليتيمة وكتّابها والإشادة بذكرهم "[1].

لقد قدّمت اليتيمة مصدراً مهمّاً يعين الدارس في الاستقصاء والبحث، وبهذه السعة تعرّفنا على شعراء وأدباء الأمصار، فالثعالبي – بغضّ النظر عن تقسيماته وتفضيلاته – يكاد لايهمل أحداً، طرق كلّ الأبواب بحثاً عن التوثيق والتصنيف، وقد رأيناه يوثّق لشعراء من غير العرب، عرّفنا من خلال ذلك عليهم، وقد أثنى أحمد الحوفي على هذا الصنيع الهام، فالثعالبي وثّق لشعراء من الفرس، يقول الحوفي:".. لنتعرف عشرات من

[1] بعض مؤرخي الإسلام، ص ٩٩.

أبناء الفرس مهروا في قرض الشعر العربي .."[1]، وهؤلاءالشعراء توزّعوا بين الأقاليم، وعلى الرغم من ذلك لم يهملهم الثعالبي في تصنيفه. ويشيد الدكتور زكي المبارك بأهمية توثيق القرن الرابع الهجري وأن الخسارة ستكون كبيرة لو أننا فقدنا كتاب اليتيمة[2]، وأشاد مصطفى الشكعة باليتيمة كونها " أولى طبقات الشعراء ذات الصفة الموسوعيّة "[3]، وعدّ حسن الأمين محقّق كتاب " خاص الخاص " للثعالبي أن اليتيمة من أهم المصادر والمراجع الأدبية للأدب القديم[4]، كما أثنى الدكتور أحمد مطلوب على صنيع الثعالبي، وأن المادة الأدبية فيه غنيّة في معطياتها، ففي الجانب الذي يخصّ المتنبي جاء الثعالبي ليتخذ موقعاً وسطاً " .. يوفّق بين

[1] تيارات ثقافية بين العرب والفرس، ص ٢٠٠.
[2] النثر الفني، ٢ / ١٧٩.
[3] مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص ٤٥٥.
[4] خاص الخاص، الثعالبي، تحقيق حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان (بدون تاريخ)، يُنظر : مقدمة المُحقّق.

محاسنه ومساويه، وكانت دراسته في " يتيمة الدهر" من أورع ما كُتب عن المتنبي .. والطابع العام لدراسته الدّقة في المنهج والعرض "[1].

لعلّ أغلب النقّاد وقفوا عند نقد الثعالبي للمتنبي، وفي حقيقة الأمر إن أهم مافي اليتيمة عدا عن التوثيق التاريخي وإسناد الأشعار لأصحابها فإنه ثمة لفتة نقدية غاية في التمعّن تتعلق بنقد الثعالبي للمتنبي، وكنّا قد أوردنا سابقاً الجدال النقدي حول الثعالبي وسطحيّته في الانتقاء والتفضيل على نحو ما رآه بعض النقّاد، لكن في المجمل لم ينكر أحد فضل الثعالبي في إضافة صفحة جديدة للسجلّ النقدي المتعلّق بالمتنبي، وأشادوا كلّهم بجديد ما قدّم، ومليح ما صنع على الرغم من كلّ الانتقادات اللاذعة في بعضها كالتي قال بها إحسان عباس ومحمد مندور، وإن ريجيس بلاشير وقف مطوّلاً عند المتنبي، وأهم ما قيل عنه، وقد عدّ كتاب اليتيمة مصدراً مهماً في إذكاء روح الدراسة الأدبية، والموازنة بين الآراء النقدية، وتجسّد ذلك عند الثعالبي الذي أثنى عليه بلاشير قائلاً: " ظهرت دراسة تدلّ

[1] اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، ص ٢٧١.

على مجهود عظيم للوصول إلى تقدير ديوان المتنبي، ولم يستعن الكاتب بشرح، بل بكتاب مؤلّف شرقي هو " الثعالبي "، فتحت عنوان المتنبي .."[1]، مشيراً بذلك إلى استناد النقّاد إلى مصدر نقدي كبير أغنى الدراسة حول المتنبي، وفتح آفاق جديدة، الأمر الذي يتيح فرصة أدبية للنهل منه، واعتماده مصدراً ذا قيمة على الصعيدين التاريخي والثقافي، فقد كان مصدراً مُلهماً لبعض المصنّفين، وهذا ما أشار إليه علي أدهم في معرض حديثه عن ابن بسّام وكتابه " الذخيرة "، فابن بسام اقتفى أثر الثعالبي في يتيمته، وقسّم ذخيرته على نهج اليتيمة إلى أقاليم في أربعة أقسام، واتّبع مفردات الثعالبي في حكايات " وأخبار الملوك والأمراء والرؤساء وتأثيرهم في الأدب .. ليوضّح العلاقة بين الأدب والأحوال السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة المعاصرة، وتأثير تلك الأحوال في اتجاهات الأدب ومشاعر الشعراء والكتّاب وإنتاجهم الفنيّ "[2]. وقد أشار بلاشير إلى النقّاد الذين

[1] ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين، ريجيس بلاشير، ترجمة أحمد بدوي، مطبعة نهضة مصر، الطبعة الأولى (بدون تاريخ) ص٩٥.
[2] بعض مؤرخي الإسلام، ص١٠٠.

اعتمدوا على اليتيمة كمصدر لا غِنى عنه في الدراسة الأدبية، خاصة منها التي تتعلّق بالمتنبي كون الثعالبي استفاض في القسم الذي أفرده له، ومن جملة ممّن أشار إليهم بلاشير الكاتب محمد صدر الدين الذي ألّف كتاباً عن سيف الدولة وزمنه، وقد اعتمد – كما يشير بلاشير – على سلسلة " من النظرات الإجمالية التي تعتمد على دراسات القرون الوسطى، وبخاصة يتيمة الدهر"[1]، كما أنّ الثعالبي انتهج خطّاً تصنيفيّاً يُعدّ خطوة أولى في التدوين الأدبي من خلال اعتماده في طريقة التقسيم إلى مناطق جغرافية تومئ إلى العلاقة الوطيدة بين الإنتاج الأدبي، وروح العصر والمكان، وما استقرّ من علم ومعرفة وثقافة تسم إقليم من الأقاليم، وقوم من الأقوام، وقد أشرنا إلى هذه المنهجيّة سابقاً، حيث يرتبط الأدب بروح زمنه، وبالعلائق والعلاقات الراهنة سياسيّة كانت أو اجتماعيّة أو ثقافيّة، فالكتاب على حد تعبير مصطفى الشكعة " قد قارب حدّ الشمول في ترجمته لشعراء القرن الرابع .."[2]، وأقرّ به أيضاً د. عمر الدقّاق، ونوّه لهذه

[1] ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين، ص ٣٩.
[2] مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص ٤٥٥.

الظاهرة النقدية المُتّبعة، فقد ربط الثعالبي الأدب بإقليمه بشكل من الأشكال، وهذه المنهجيّة في التبويب لم يتثنّ لأحد قبله أن ينتهجها، فقد سجّل خطوة السبق في ذلك، وهذا ما جعل من كتابه اليتيمة ذا منزلة خاصة يتمتّع بها، هذه الأهميّة يراها عمر الدّقاق قد ميّزت كتابه " عن سائر الكتب في موضوعه في عدد من الخصائص التي انفرد بها، وأولّ مايمتاز به الثعالبي في يتيمة الدّهر أنه ابتدع منهجاً جديداً لم يسبقه إليه أحدٌ من قبل، فقد رأى أن يتناول الشعراء حسب أقاليمهم ومناطق بلادهم، وهذا التناول في الحقيقة أقرب إلى روح الأدب نفسه من تصنيف الشعراء تبعاً لترتيب أسمائهم أو غير ذلك، لأن صاحب اليتيمة استطاع في كتابه أن يربط بين الأديب وبيئته، وهذا مايحنح إليه كثير من المؤلّفين والنقّاد في عصرنا"[1].

[1] مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب، د. عمر الدّقاق، سوريا- حلب ١٩٦٨ م، ص ١٥٦.

الختام

إن أوّل ما يلفت الانتباه هو العدد الهائل من المؤلّفات التي ذُكرت للثعالبي، ما بين اللغة والأدب والتاريخ والفكر والدين والشعر والنثر إلى البلاغة والظرافة، وإنّ من بين أشهر ما قدّمه الثعالبي هو كتابه " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر "، ويُعد حقيقة منبعاً ثريّاً، ومصدراً أدبياً لما احتواه من تصنيف وتأريخ لأهل الشعر والأدب، ناهيك عن قيمته التاريخية والاجتماعية والسياسية؛ إذ يعكس حياة ذاك الزمن، ومناهج التصنيف والتأليف فيه، وقلّما نجد في العصر الحديث من لم ينوّه في دراسته النقدية لهذا الكتاب، فقد أثار جدلاً نقدياً بين مؤيّد لمنهجيّته وبين معارض لها، أو ملتزم خطّاً وسطاً بين الفريقين. وإن المنهجية النقدية فيه متباينة من حيث التقسيمات التي احتكم فيها الثعالبي إلى ذائقته الأدبية، فكانت الانطباعية في التبويب واضحة، لكنها انطباعيّة تستند إلى رؤية مُتبحّرة، وسعة ثقافية استطاعت أن تجمع أهم ما ذاع من الآداب في كتاب واحد، هذا لو نظرنا إلى الكتاب نظرة شاملة بغضّ النظر عن

طريقة احتكام المؤلف وتفضيلاته النقدية، فأبو منصور الثعالبي من الذين أغنوا المكتبة الأدبية والفكرية بإنتاجهم، وهذا ما دعا الباحثين للاهتمام بصنيعه، سيما أنه يؤرّخ للشعر والشعراء، والشعر ديوان العرب كما درج على ذلك الأوائل، وفي ثنايا هذا الديوان تكمن تفاصيل قيّمة عن العصور والمجتمعات، فكان لزاماً على دارسي الأدب أن يتوقفوا عند أي كتاب تناول الشعر وأهله، وأكثر مالفت انتباه النقّاد من مؤلفات الثعالبي هو كتابه " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر" للأسباب الأدبية الجمة التي ذكرنا، ولسعة التأريخ لحقب زمنية وأدبية من حيث الغرض والمراحل والمنهج، وللشعر الكثير الذي جمعه، وإنّ القارئ المطّلع على هذا الكتاب سيجده ذخيرة ومرجعاً مهماً. إن أكثر من عاب عليه منهجيّته النقدية استندوا إلى تقديمه فصول على فصول أخرى، واعتماده على أحكام فردية، فقد قدّم طائفة أدبية على أخرى، ومنطقة جغرافية بأدبها وإنتاجها على أخرى، فوقع في شئ من التناقض بالشكل الظاهري لمنهجه، في حين لو نظرنا إلى الأمر من زاوية أخرى سنراه مستنداً إلى تبرير نقدي متعلّق

بزمان ومكان وثقافة المؤلّف، فقد برّر ذلك وعزّزه بآراء نقدية، ورأينا أن تقديمه لطائفة أدبية أو جغرافية على أخرى لايعيب أو ينقص من قيمة هذا العمل الضخم وهذه الذخيرة الغنيّة، وإنه يتحتّم علينا أن نقرأ الثعالبي بمرآة عصره، ومهما حاولنا التملّص من إسقاطات المعارف الحديثة فإنه لايمكننا النأي عنها بشكل كامل، ولكننا نحاول أن نبقى ضمن مرآة عصره مُعزّزين موقفنا النقدي من خلال ربطه بجغرافيّته الثقافيّة.

أردنا من خلال هذه القراءة أن نلتفت إلى الكتاب وأهمّ ما تضمّنه، ولإبراز القيمة العلمية له ولمؤلّفه من خلال آراء النّقاد فيه، آملين أن تلقى مخطوطات الثعالبي الحبيسة نصيبها من التحقيق، نظراً لأهمية الثعالبي العلمية واللغوية، من خلال عظيم عمله، وسعة علمه، وحكمة فعله، وفائدة جمعه واختياره، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الملقّب بالثعالبي، الذي طبقت شهرته الآفاق أو كما قال عنه الحصري: فريد عصره .

قائمة المصادر والمراجع

المصار القديمة

١. ابن بسام : أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ)
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٢. ابن بسام : أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ت ٥٤٢ هـ
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق لجنة برئاسة الدكتور طه حسين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥م.

٣. ابن خلّكان (ت ٦٨١ هـ)
وفيات الأعيان، بيروت دار صادر ١٩٧٨م.

٤. ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)
وفيات الأ‘يان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٦٨ م.

٥. ابن كثير: أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي(ت ٧٧٤ هـ)

البداية والنهاية، مكتبة المعارف–بيروت ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٦. ابن كثير

البداية والنهاية في التاريخ، مكتبة المعارف – بيروت ١٩٧٩.

٧. ابن عماد الحنبلي: عبد الحي

شذرات الذهب، مكتبة القدس – مصر، ١٣٥٠ هـ.

٨. الأسدي: ابن قاضي شهبة (٨٥١ هـ)

طبقات النحاة واللغويين، نسخة مصورة عن نسخة الظاهرية في قسم المخطوطات بجامعة الكويت

٩. الأنباري: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري(أبو البركات كمال الدين الأنباري ت ٥٧٧ هـ)

نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار – الأردن، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.

١٠. الباخرزي

دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق سامر مكي العاني، دار العروبة– الكويت، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

١١. الثعالبي: أبي منصور عبد الملك النيسابوري

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١٢. الثعالبي: أبي منصور عبد الملك النيسابوري

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة – مصر ١٣٧٥ هـ -ـ ١٩٥٦ م، دار الفكر – بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

١٣. الثعالبي

الكناية والتعريض، دراسة وشرح وتحقيق عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، شركة مساهمة مصرية، ١٩٩٨ م.

١٤. الثعالبي : أبي منصور عبد الملك النيسابوري

خاص الخاص، تحقيق حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان (بدون تاريخ).

١٥. الحصري: أبو اسحاق

زهر الآداب، دار الجيل – بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م.

١٦. الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى ٦٢٦هـ).

معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب تحقيق د إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

١٧. الزركلي: خير الدين

الأعلام، بيروت- لبنان، دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩م.

١٨. الزركلي: خير الدين

الأعلام،، مطبعة كوستا توماس وشركاه - مصر ١٩٥٧م.

١٩. الزركلي: خير الدين

الأعلام، مطبعة كوستا توماس – القاهرة ١٩٥٩م.

٢٠. السبكي : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ٧٢٧ - ٧٧١ هـ.

طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحاو، الناشر فيصل عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م.

٢١. طاشي كبري زاده: أحمد بن مصطفى

مفتاح السعادة ومصباح السيادة، تحقيق كامل كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، مطبعة الاستقلال الكبرى – مصر، ١٩٦٨ م.

٢٢. الكلاعي

أحكام صنعة الكلام، تحقيق محمد رضوان الداية، مطبعة الثقافة – بيروت، ١٩٦٦م.

٢٣. المرزباني : أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني،

الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، الطبعة ألأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

المراجع

٢٤. أدهم : علي

بعض مؤرخي الإسلام، (من التاريخ ((٣))، مكتبة نهضة مصر بالفجالة. (بدون تاريخ).

٢٥. أمين: أحمد

ظُهر الإسلام، دار الكتاب العربي– بيروت ، بدون تاريخ.

٢٦. أمين: أحمد

ظُهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٢ م.

٢٧. الجادر: محمود عبد الله

الثعالبي ناقداً وأديباً، دار النضال – بيروت ١٩٩١م.

٢٨. حسن: حسن إبراهيم

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مطبعة السعادة - مصر ، الطبعة الخامسة ١٩٦٠م.

٢٩. حمدان: حمدان عبد الرحمن أحمد

الحالة الاجتماعية في العراق وفارس في القرن الرابع الهجري وأثرها في أدب اليتيمة للثعالبي.

٣٠. الحوفي: محمد

تيارات ثقافية بين العرب والفرس، دار نهضة مصر – الفجالة – القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م.

٣١. خليفة : أحمد يوسف

تطور النقد الأدبي ومراحله حتى نهاية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٣٢. خليفة: حاجي

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مطبعة وكالة المعارف ١٣٦٠ هـ- ١٩٤١ م.

٣٣. دائرة المعارف الإسلامية، مراجعة وزارة المعارف العمومية – مصر ١٩٣٣م.

٣٤. ريجيس : بلاشير

ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين، ترجمة أحمد بدوي، مطبعة نهضة مصر، الطبعة الأولى (بدون تاريخ).

٣٥. زيدان: جرجي

تاريخ آداب اللغة العربية، مكتبة الحياة – بيروت ١٩٦٧ م.

٣٦. سركيس: يوسف اليان

معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيسي – مصر، ١٣٤٦ هـ- ١٩٢٨ م

٣٧. سرور: محمد جمال الدين

تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، القاهرة ١٩٩٥م.

٣٨. سلام: محمد زغلول

تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري، مطبعة دار المعارف – مصر (بدون تاريخ).

٣٩. الشكعة : مصطفى

مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٩١م ،

٤٠. صديق: حسين

مقدّمة في نظرية الأدب العربي الإسلامي، منشورات جامعة حلب ١٩٩٤ م.

٤١. الطاهر : علي جواد

مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، سبتمبر ١٩٧٩م.

٤٢. طبانة : بدوي

دراسات في النقد الأدبي العربي، مطبعة الأنجلو المصريّة (بدون تاريخ).

٤٣. طبانة : بدوي

الصاحب بن عباد الوزير الأديب العالم، المؤسسة المصريّة العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.

٤٤. عباس: إحسان

تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م.

٤٥. علي: محمد كرد

كنوز الأجداد، مطبعة الترقي – دمشق ١٣٧٠ هـ- ١٩٥٠ م

٤٦. فاخوري: محمود

مصادر التراث والبحث في المكتبة العربية، منشورات جامعة حلب، ١٩٨٩م.

٤٧. فيصل: شكري

مناهج الدراسة الأدبية، مطبعة دار الهنا، بولاق – القاهرة ١٣٧٣ هـ- ١٩٥٣ م.

٤٨. كحالة: محمد رضا

معجم المؤلفين، مطبعة الترقي–دمشق١٣٧٨ هـ- ١٩٥٨ م

٤٩. مبارك: زكي

النثر الفني في القرن الرابع الهجري، دار الكتب – مصر ١٣٥٢ هـ- ١٩٣٤ م

٥٠. متز: آدم

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة - القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية ١٩٤٨م.

٥١. نيكلسون: رينولد

تاريخ الأدب العباسي، ترجمة صفاء خلوصي، المكتبة الأهلية – بغداد ١٩٦٧ م.

٥٢. مطلوب: أحمد

اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، توزيع دار العلم للملايين - بيروت.

٥٣. مندور: محمد

النقد المنهجي عند العرب، مطبعة نهضة مصر، الفجالة – القاهرة، ١٩٤٨ م.

الفهرس

تقديم ٥

المقدمة ٩

الفصل الأول ١٥

توطئة ١٦

أبو منصور الثعالبي (حياته – مؤلّفاته) ٢٣

مؤلفات الثعالبي المطبوعة والمخطوطة ٣١

أشهر مؤلّفاته المطبوعة ٤٣

كتاب " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر " ٥٠

أقسام وأبواب الكتاب ٥٦

تتمّة اليتيمة ٦٠

الفصل الثاني ٦٣

الرؤية الأدبيّة والمنهجية في اليتيمة ٦٤

الغرض من التأليف ٦٥

مراحل التأليف ٦٧

منهجه النقدي ٦٨

الرؤى النقدية حول الثعالبي ٧٣

أهميّة العمل النقدي للثعالبي في " اليتيمة " ٩٥

الختام ١٠٢

قائمة المصادر والمراجع ١٠٥

الفهرس ١١٥